

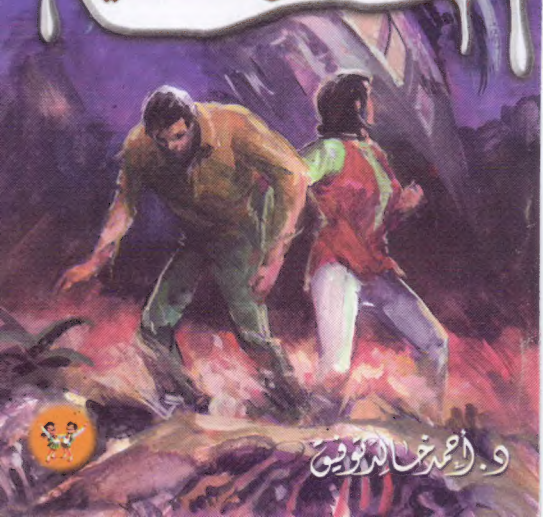
روايات مصرية للحيث



58

أسطورة أرض العظايا

ما وراء الطبيعة



و. أحمد غنم التوفيق



ما وراء الطبيعة

روايات تحسيس الانتماس
من قرط القموض والرعب والإفارة

روايات همزية الحب



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة أرض العظايا

حقاً لا يوجد

الكثير مما يُقال .. هناك

(سالم) و (سلمى) .. وهناك

أرض العظايا .. أعتقد أن

القصة أمست واضحة الآن !



العدد القادم :

أسطورة رونيل السوداء

طبعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

توزيع والتوزيع
جميع الحقوق محفوظة
طبعة ٢٠٠٧

التمنّة
وما بعد
في سائر الدول العربية والعالم

58

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة أرض المقاييا

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

ترجمة

الأستاذ . إسماعيل دياب

إشراف

الأستاذ / حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطبع ١٠، ٨ شارع ١٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة - ٤ شارع الإسماعيلي بمنشية البكري روكسى
مصر الجديدة - القاهرة - ١٦٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع
٤ شارع بدوى / محرم بك - الإسكندرية

58

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة أرض المظايا

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الجديدة

الطبع والمطبع والموزع

٢٠٠١ - ٢٠٠٢

٢٠٠٢ - ٢٠٠٣

حقاً إننى أعيش فى زمن أسود ..

الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها ..

الجهة الصافية تفضح الخيانة ..

والذى مازال يضحك ..

لم يسمع بعد بالنبأ الرهيب ..

أى زمن هذا ؟

برتولت بريخت

Bertolt Brecht

(شاعر وكاتب مسرحى ألمانى)

مقدمة المقدمة

هناك ذلك الظل الذى تراه أمامك .. ثم تنظر للوراء
فلا ترى أحداً ..

هناك ذلك الحفيف الذى يضايق العصبيين ، والذى
لا مصدر له ..

هناك تلك الغممة التى تقسم إنها ضحكة ساخرة ، لكن
لا أحد يضحك ضحكات ساخرة ..

هناك الخوف من المجهول .. هناك التوجس .. هناك المفارقة
الدرامية ، حين تعرف أن الخطر ينتظر هنالك خلف الباب
الموصد ، لكن صهتك لا يصل - ولن يصل - إلى الأحمق الذى
يوشك على فتح الباب ..

هناك الخوف من الغد .. وهو - لعمري - أشد أنواع الرعب
شناعة ..

لماذا لا يكتبون على ملصقات الأفلام التى تناقش الخوف
من الغد عبارة (ممنوع لأقل من ١٦ سنة) ؟

أنا العجوز الأحمق (رفعت إسماعيل) الذى يحاول مراوغة

الموت .. للدقة أكثر : مراوغة التفكير فى الموت ، وهذا
عن طريق حكاية قصص مسلية لكم .. قصص تتمسح
بالرعب .. تدنو منه أو تبتعد .. تتأبط ذراع الظواهر الخارقة
أحيانا .. تلبس عباءة الغرائب أحيانا أخرى ..

لكنها قصص لعبوب .. خبيثة .. تحاول بأية طريقة كانت
أن تلفت النظر لنفسها ، وهى فى سبيل ذلك تفعل أى
شئ ..

عم نتكلم اليوم ؟

هل حكيت لكم قصة (المقبرة) ؟ نعم ؟ لم أستمعها بعد ؟
غريب هذا .. خيل لى أننى أكملتها .. لكنى سأطلب منكم
معروفاً .. لقد تأهبت لحكاية أرض العظايا .. منذ أعوام وأنا
أتوق لأرض العظايا .. القصة مكتوبة بخط الأخ (سالم)
ولن تحتاج منى إلى جهد غير القراءة .. مع تصحيح بعض
أخطاء القواعد ، التى يمارسها بدقة غريبة كأنها هى
القواعد ذاتها ..

اتفقنا ؟ سأفصح المجال لـ (سالم وسلمى) على أن نلتقى
على خير فى المرة القادمة ، ونكمل قصة المقبرة ..

لماذا أفعل هذا ؟

لأنكم اعتدتم نزوات (رفعت إسماعيل) ، وعرفتكم أنه
لا يفعل شيئاً أبداً كما يفعله السادة المهذبون الآخرون ..
يبدأ من النهاية ، ويتوقف في الوسط ، ويخرج من النوافذ ،
ويشم الهواء من الأبواب ..
فلنصغ إذن لـ (سالم وسلمى) ..

ملحوظة مهمة : أكثر المصطلحات والأسماء الغريبة الواردة
هنا قمت بكتابتها بالإنجليزية ، والسبب ليس التحذلق ولكن
لأن بعض الأصدقاء طالبوني بهذا مراراً ، ليسهل عليهم
معرفة الهجاء الصحيح ، فالبحث عن المزيد من التفاصيل
في الإنترنت إذا أرادوا .. هذا مطلب عادل مهم .. ولسوف
أحاول الالتزام به في كل ما أكتبه فيما بعد إن شاء الله ..

مقدمة

أنتم تعرفوننا جيدًا .. أنا (سالم) وهى (سلمى) .. الدليلان
الحيان على وجود ما يعرف بالعوالم الموازية ، وهو دليل
لا يمكن إداعته للأسف ..

هى (سلمى) وأنا (سالم) .. صحيح أننا زوجان لكننا كذلك
نوشك على أن نكون الشخص ذاته ، وهذا يسبب لنا الكثير
من الضيق والهم .. سؤال الفلاسفة الأزلـى : هل تشابه الطباع
أفضل أم توافقها ؟ كيف تستطيع المشى لو كاتت كلاقميك
يعنى ؟ لو رأت عينك الشىء ذاته لفقت القدرة على التجسيم ..

نحن نجول فى العوالم التى تشبه الأرض مع اختلاف
بسيط .. مرة نحن فى عالم لم يعرف بعد اللغة الهيروغليفية ،
ومرة نحن فى عالم لم يظهر فيه (قطر) قط ..

إن مغامراتنا حقيقية .. أؤكد لك هذا .. لكن كتاب الأرض
يكتبون نوعا من الأدب يشبه ما نمر به ، ويطلقون عليه
اسم (التاريخ البديل) أو Allohstory .. وقد يطلقون عليه
مصطلحات مثل (الخيال المضاد Counterfactuals) أو قصص
(ماذا إذا ؟) أو (الأوكرونيات Uchronias) ..

على كل حال لن أطيل عليكم .. إن المصطلحات هي
الشيء الذى يجعل الماء شيئاً مستحيل الشرب أو الفهم ..

أنا وزوجتى ضيفان هنا ، وقد عرفتمونا فى (أسطورة
أرض أخرى) و (أرض المغول) .. لماذا لا تعرفوننا من
جديد فى (أرض العظايا) ؟

لا مزيد من التفاصيل ، ولن أضيع أربع صفحات فى تلخيص
القصتين السابقتين كما يفعل (رفعت إسماعيل) .. إنه يملك
الكثير من الوقت والكلمات ، بينما نحن نعانى حالة مزمنة
من الشح فيهما ..

هل نبدأ ؟

فلنبدأ ..

★ ★ ★

١- أرض أخرى ..

لا أعرف السبب في أن كل مغامرة جديدة لنا تبدأ ونحن في أسوأ حال ممكن ..

٢٥٠ - ٧٧ ..

هذا هو المكان والزمن الذي حملنا إليه الجهاز .. لو كان لي أن أحكم بالحدس فإن هذا الكوكب بهيج .. أنا مولع بالكواكب التي تبدأ برقم ٢٥٠ كما تعرفون ..

كان كعبي يوشك على قتلى .. من قرءوا المغامرة السابقة يعرفون أنني تلقيت رصاصة فيه ، ولا أعرف إن كانت قد غادرته أم لا .. يدان غارقتان في دماء متجمدة لا أعرف إن كانت تخصني أم تخص الجثث التي قمت بسرقتها كالضباع .. أضف لهذا أن يدى نفسها متجمدة من الجليد ..

٢٥٠ - ج - ٧٧ ..

(سلمى) ليست أفضل حالاً وإن كانت غير جريحة .. لكنها تشعر بالألم ذاته في كعبيها ..

كنا راقدين على الأرض وسط الرمال .. الطقس حار فعلاً
وإن لم نشك من هذا ..

قالت لى وهى تتحسس رأسها :

- « لا أعرف أى شىء عن هذا العالم ، ولأما سنلاقيه
هنا ، لكن أول تجربة سنمر بها هى اعتقادنا بتهمة التشرد .. إن
منظرنا لا يوحى بالثقة .. »

- « فى أرضى أنا يطلقون على هذا (محضر اشتباه
وتحر) .. »

ثم راحت تتشمم الهواء الساخن من حولنا .. وقالت :
- « (سالم) .. أعتقد أننا فى المنطقة العربية .. هذه
صحراء عربية ولتقطع ذراعى إن لم أكن على حق .. »
- « الصحراء هى الصحراء فى كل مكان فلاداعى
للرهان .. »

ونهضت وساعدتها على النهوض .. كنت أتواثب كاللقلق
وخطر لى أننى أمشى فى ثقة إلى النهاية الإغريقية المحتومة ..
التلوث .. الغنغرينا .. بتر قدمى من تحت الركبة ..

لا بد من حل ما ..

٢٥٠ - ج - ٧٧ ..

أضفت وأنا أرمق الأفق حيث الجبال تحيط بنا من
الجهات الأربع :

- « ثمة مشكلة أخرى ، هي أننا لانعرف طريق العودة ..
لانعرف أين يوجد الناس .. أرى أن تجربى مجموعة أخرى
من الأرقام .. »

قالت وهى تتواشب بدورها :

- « لكن المغامرة لم تبدأ بعد .. »

- « حتى المغامرة لانعرف كيف نصل إليها .. لابد من
اتجاهات صحيحة تدلنا على مكان المغامرات هنا .. »

قالت فى ضيق :

- « (سالم) .. لاتضايقتى .. على الأقل لا يوجد أى عامل
ضغط من حولنا .. نحن حران مسيطران على الموقف ،
فلماذا لانتمهل بدلاً من إحباط كل شىء قبل أن يبدأ ؟ »

وكانت هذه هى المزية الفريدة لتجربتنا .. لنا أحب الأماكن
التي يوجد لها باب هرب خلفى للطوارئ .. فى اللحظة التى
تسوء فيها الأمور ، تمسك بالجهاز و(كليك .. كلاك ..) ..
تنتهى كل المشاكل فى ثانية .. وتبدأ من جديد .. طالما تمنيت
فى كل مازق حياتى - قبل أن ألقى (سلمى) - لو كان عندى
هذا الباب الخلفى ..

ثمة مشكلة واحدة .. هى أننى لا أعرف على الإطلاق
ما هى حياتى الحقيقية .. ما هى مشاكلى الحقيقية .. لا بد من
نقطة ارتكاز تقف عليها وتجرب الاحتمالات .. لكنى بدأت
فعلاً أفقد نقطة الارتكاز هذه .. كان (أرشميدس
Archimedes) يقول : هاتوا لى نقطة ارتكاز خارج الكرة
الأرضية ، وسوف أخترع روافع تحرك الأرض .. حتى
(أرشميدس) لم يجد نقطة ارتكاز ..

واصلنا السير ..

وأنا نمطى جداً فى مشاعرى .. ما إن أرى الصحراء
حتى أشعر بالظماً .. هكذا دون أن أعطى خلايى فرصة
تجربة الجفاف .. وقد بدا لى الأمر رهيباً ..

- « هل تشعرين بالظماً ؟ »

- « كف عن المزاح .. أنت تعرف أننا متطابقان شعورياً ..
لكن الأمور لم تتطور إلى هذا الحد .. »

سبحان الله .. منذ ربع ساعة كنت أرتجف برذا وسط
الثلوج .. والآن أنا أموت عطشاً فى الصحراء ..

كنا نمشى وسط الرمال الناعمة الساخنة .. لا توجد نقطة
ظل من أى نوع .. لا بد أنه متوار فى مكان ما تحت أقدامنا ..

لعابى لزج ثقيل .. الهواء الساخن يخرج من أنفى كأنما يخرج
من فتحة قرن ..

قلت لها فى ضيق :

- « أرى أن هذا يكفى .. »

- « ربع ساعة فى هذا العالم ؟ إذن أنت لن تجد مكاناً
يناسبك فى الكون كله .. تريد مكاناً بلامعانة من أى نوع ؟ »
- « أصبت ! هذا من حقى مادمت أملك الاختيار .. »

★ ★ ★

لكن الأمور لم تتحسن ..

لا بد أننا مشينا نحو ساعة أو أكثر بلا جدوى ..

هناك جبال من بعيد .. جبال تعسة فقيرة لا تسرُّ
الناظرين ، عليها بعض نباتات أو طحالب كنيبة المنظر ..
وعلى كل حال ليس بلوغ هذه الجبال بالهدف المحبب ..
لا بد أن تلك التجاويف تحوى ثعابين أو عقارب أو أى شئ
من تلك الأشياء التى تعرف كنهها ، لكنها بشعة تتحرك !

وفجأة تعالى صوت الهدير من بعيد ..

بللت شفتى السفلى بلسان جاف وهمست :

ـ « طائرة ! »

قالت وهى تنظر لأعلى :

ـ « هذا صحيح .. لكن أين ؟ »

الهدير يأتى من كل مكان ، ثم بدأ الأمر يتحسن ..

إنه آت من الغرب ..

أخيراً لاحظت لنا الطائرة العمودية .. قادمة من الأفق
تزحف نحونا فى إصرار وتؤدة ..

لسبب ما لم أحب هذه الطائرة ..

وثبتت (سلمى) فى الهواء ملوحة بيدها .. وراحت
تصدر أصواتاً مثل (أووه ! هيبه ! نحن هنا ! »

قلت لها فى توجس :

ـ « اصمتى يا بلهاء .. هؤلاء قد لا يكونون ملائكة .. إن
الملائكة لا تأتى دوماً بطائرات مروحية .. »

ونظرنا لأعلى .. لم يكن لكلامى جدوى ، فالسمع ليس
من الحواس التى يحتاج إليها هذا الطيار ؛ لأننا منظوران

واضحان تماماً .. لو لم يرنا هذا الطيار فهو أول طيار كفيف
فى التاريخ ..

الآن صارت الطائرة فوقنا ، والذى أثار دهشتى أنها لم
تطلق وابلاً من النيران .. لم تقذف علينا قنبلة .. لم ترسل
لنا سلفاً من الحبال .. لم تفعل شيئاً على الإطلاق ..

ظلت تحوم حولنا على ارتفاع أمتار ، واستطعت أن أرى
أن هناك من يطل من بابها ..

وكان يحمل كاميرا ..

بعد قليل فهمت أنهما رجلان ينظران لنا باهتمام وكلاهما
يحمل كاميرا ..

.. ESF

متى رأيت هذه الحروف وكيف ؟ لا أعرف .. فيما بعد
عرفت مصدرها .. كانت مكتوبة على الطائرة ، لكنى لم أجد
الوقت الكافى لتبينها ، ولهذا تسربت إلى عقلى الباطن .. هذا
شئ معروف .. كل خبير فى علم نفس الإعلان يعرف هذا ..

على الرغم منى ابتسمت محاولاً أن أكون وسيماً .. وتخيلت
صورتى من أعلى أنظر إليهما بأغبى نظرة ممكنة ..

لماذا لا يمدون لنا يد العون ؟ لماذا لا يقتلوننا ؟ لماذا
لا يقولون شيئاً ؟

قالت (سلمى) وهى تنظر لأعلى محاولة أن تتحاشى
نور الشمس .. الشمس التى تتوارى خلف الطائرة كاشفة
عن أنيابها من حين لآخر لتحرق عيوننا بألف نصل
ساخن :

- « (سالم) .. يبدو أنك كنت على حق .. »

- « أنا دوماً على حق .. ولكن لماذا ؟ »

- « هناك رجل ثالث يصوب بندقية نحونا ! »

★ ★ ★

٢- أرض العظايا ..

اتطلقت الرصاصة ..

لم أعرف ما حدث .. وحسبت أنها أخطأت طريقها ..
لكنى نظرت إلى الوراء نحو (سلمى) فوجدتها تجثو على
ركبتها وتمد يدها إلى شيء فى كتفها .. كانت تترنج ..
هتفت كمن يولول :

- « أيها الأوغاد !! »

وتواثبتُ نحوها .. رأيت ذلك الشيء مغروساً فى كتفها .. لم
تكن هناك دماء .. كان هناك ما يشبه الريشة الهفافة البيضاء
يخرج من ثيابها .. ولم أفهم فى البدء ثم تذكرت :

- « هذه طلقة مخدرة .. إنهم ... »

لكنها كانت تترنخُ مغمضة العينين .. ثم هوت على
وجهها وسط الرمال ..

نظرت لأعلى ولوحت بقبضتى وأطلقت فيضاً من الشتائم ،
لكنى حين نظرت لركبتى وجدت ذلك السهم ذا الريشة يتشبث
بلحمى فى ثبات ! لقد أصابونى لا أعرف متى ولا كيف ..

الظلام يبدأ من مركز الرؤية ثم ينتشر كبقعة من الحبر ..

أسمع صوت الطائرة يتعالى ..

أشعر بالهواء العنيف من مراوحها ..

.. ESF

.. ESF

أعرف أنها تهبط وأننى ...

★ ★ ★

حين فتحت عيني كانت هذه المرة الأولى التى أرى فيها
د. (ستارسكى) ..

حاولت تحريك ذراعى فلم أستطع .. السبب طبعاً هو
أننى مكبل بسيور جلدية إلى مقعدى ..

المكان خليط غريب من المختبر وقاعة المحاضرات
والمطبخ ومكتب وكيل الوزارة .. أما الرجل الذى ينظر فى
عيني باستعمال كشاف صغير فهو د. (ستارسكى) كما
عرفت فيما بعد ..

كان يمسك بلوح كتابة من الطراز الذى تثبت فيه الأوراق

بمشبك .. وجواره يقف ثلاثة يرتدون المعاطف ويحمل كل
منهم شيئاً مماثلاً ..

قلت فى وهن :

- « أين نحن ؟ »

نظر إلى من حوله ، وقال بلهجة واثقة :

- « كما قلت لكم .. هو يتكلم لغة ما .. أحسبها العربية .. »

نسيت أن أقول إنه قالها بالإنجليزية .. لست خبيراً فى
اللهجات لكنى أحسبها إنجليزية أمريكية .. كما ينطقونها فى
الأفلام .. كأن كل أمريكى مصاب بالحمية إلى أن يثبت
العكس ..

لم أكن ضليعاً فى الإنجليزية ، لكنى تلقيت قسطاً هائلاً
من التدريب فى القصة السابقة ، وصرت بالفعل أجيدها ..
لهذا عدت أكرر سؤالى بالإنجليزية :

- « أين نحن ؟ »

ثم تذكرت السؤال الأهم :

- « أين (سلمى) ؟ »

نظر إلى جوارى نظرة ذات معنى ، فاستدرت لأرى أن
(سلمى) مقيدة على مقعد مجاور لى .. كانت غائبة عن
الوعى لكنها حية .. صدرها يعلو ويهبط ورأسها يموج
بحركة ما ..

قال الرجل وهو ينظر إلى الآخرين :

- « يعرف الإنجليزية .. هذا غريب .. »

ثم قال لى وهو يواصل تفحص عينى :

- « اسمها (سلمى) ؟ هذا اسم عربى على ما أظن ؟ »

- « من أنت ؟ »

- « ما سبب تلك الطلقة فى كعب قدمك ؟ »

وهنا تذكرت الطلقة ، ونظرت لأسفل لأجد أن كعبى
مضمد بعناية لا بأس بها .. والأهم أن الألم زال تمامًا ..
هؤلاء السادة لم يتركوا قدمى تتعفن حتى تبتر .. هذه نقطة
لهم .. لكنى لست سريع الصفح بهذه الدرجة :

- « من أنت ؟ »

هنا جاءت الإجابة من أحد الواقفين :

- « هل نحلل عينات الدم الآن يا د. (ستارسكى) ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ثم مد يده إلى جيبه وأخرج شيئاً ..

كنت حتى هذه اللحظة أعانى دواراً كأن هناك طبقة
ضباب ملتصقة بوعىي والعالم كله .. عوينات متسخة
بالشحم لا يمكن خلعها أو غسلها ..

لكنى رأيت ما فى يده فتنبهت حواسى على الفور ..

هذا هو جهاز الانتقال .. طبعا كان فى جيب (سلمى)
ووجدوه ، وطبعاً لا يعرفون كنهه .. ومن الواضح أننا
سنعانى الكثير حتى نسترده ثانية .. لقد ولدت المغامرة
والحمد لله !

قال لى فى برود :

- « ما هذا الجهاز ؟ »

كانت هناك كذبة واحدة جاهزة ، وقد قررت أن أستعملها
لمرة أخرى :

- « هذا منظم لضربات القلب .. إنها تعتمد عليه للبقاء
حية .. »

ابتسم ونظر فى عيني :

- « أنت سمعتهم يدعوننى بـ (دكتور) .. أنا طبيب وليس

من السهل خداعى .. ثقى من أننى رأيت كل أنواع منظمات
القلب .. وعلى كل حال لا أفهم من أين يمكنك الحصول
عليه ؟ »

- « هذا هو الطراز الذى لم تره .. »

- « ليكن .. سأتحمل المخاطرة وأفترض أنك كاذب .. والآن
هلا قلت لى كنه هذا الجهاز ؟ »

- « ليس لدى سوى ما قلت .. »

- « ماذا تفعلان فى أرض العظايا ؟ »

- « لا أعرف عم تتحدث .. »

نظر لى كأنما أسقط فى يده بفضل ثباتى وقوة شكيمتى ..
ثم التفت إلى الرجال وقال :

- « خذوهما إلى الداخل .. »

إذن نحن فى الخارج .. ولم أدر كيف ولا متى فكوا
قيودى .. ولا كيف صارت (سلمى) تمشى على قدميها
بطريقة ثملة تدعو إلى الشفقة ..

لكننا فى النهاية وجدنا مجموعة من الأقفاص البائسة ..

أنا لا أعرف شكل الأقفاص التي كان الرومان يسجنون فيها
العبيد قبل المصارعة ، لكن هذه لم تختلف كثيراً ..

رائحة عطنة .. ظلام دامس .. باب حديدي صدئ
ينغلق .. قفل ثقيل يوضع ..

ثم شيء يزاح من تحت الحديد .. طعام على الأرجح ..
أخيراً نطقت (سلمى) :

- « هل .. هل الجهاز معك ؟ »

أرحت ظهري إلى حديد القفص وتنهدت :

- « أخذوه طبعاً يا حمقاء .. ماذا كنت تتوقعين ؟ لقد صار
هذا مملاً .. »

بللت بلسانها شفتها السفلى .. فزحفت على ركبتي إلى
حيث كان الشيء الذي أدخلوه لنا .. تحسست بيدي فشعرت
بأصابعي تنغرس في مادة لزجة .. غالباً هي تؤكل لكن
لمسها لا يدعو إلى الحماسة ، وثمة دورق ماء يحيط به
البلل الرطيب الجميل ..

حملته وزحفت إلى حيث كانت جالسة في الظل .. أراها
بصعوبة لكنها غير مختفية .. ناولتها الدورق فراحت تجرع
الماء في نهم حتى اكتفت .. ثم تناولت الدورق لأثال نصيبي ..

قالت وهى تلهث فى الظلام :

- « أين نحن بالضبط ؟ »

قلت لاهثًا بدورى من دون سبب :

- « سألت كل هذه الأسئلة السخيفة من قبل .. بل وسألت :
من هؤلاء .. وماذا يريدون منا .. لا إجابة .. المؤكد أن
هؤلاء أمريكيو هذا العالم .. وأن هناك من يدعى الدكتور
(ستارسكى) .. يبدو أنه عالم أوشىء من هذا القبيل ..
وقد اصطادونا بطريقة تذكرنى بصيد الغزلان البرية ..
النقطة الأخيرة هى أن هذه أرض العظايا .. »

كررت الاسم فى استهجان :

- « عظايا ؟ »

وضغطت على (العين) كأنها موشكة على القىء .. ثم
أردفت :

- « ما دور العظايا فى الموضوع ؟ »

- « لا أدرى .. وأكون مشكورًا لو عرفت منك ما هى
العظايا .. »

قالت فى الظلام :

- « العظايا هى الديناصورات .. عظايا الرعب (وساوروس) ..
العظايا الطاغية (تيرانوسوروس) .. الخ .. هل رأيت أية
سحلية هنا ؟ »

- « لم أر .. لاحظى أننى غبت عن الوعى بعدك بدقيقة .. »
قُطِبَت (سلمى) فى الظلام .. تسألنى كيف عرفت ؟
ألا تعرف الصوت المقطب حين تسمعه ؟
قالت :

- « ترى ما هو سر هذه الأرض ؟ »

★ ★ ★

٣- ESF ..

- « منذ متى أنتما هنا ؟ »

أجفلنا من الرعب ، ثم تبين أن هذا الصوت المنهك يأتي
عبر القضبان ..

قلت لها وقد أمسكت بيدي رعباً :

- « لا تخافى .. هذا هو الموقف الشهير .. مع (الكونت
دى مونت كريستو) يكون هذا الجار هو السجين (فاريا)
الذى يعرف سر الهروب .. حتى فى السجون عندنا تسمعين
من الزنزاة المقابلة من يسألك : ما هى تهمةك يا (زُمْل) ؟
بضم الزاى والميم طبعاً .. »

ثم بحثت عن مصدر الصوت وهتفت :

- « نحن هنا من دقائق .. من أنت ؟ »

وهنا فطنت لحقيقة أنه يتكلم العربية .. عربية غريبة
مُضغضة نوعاً لكنها كافية ..

قال الصوت المتعب من مكان ما عبر القضبان :

- « أنا (إسماعيل خان) .. عالم باكستاني .. لا أعرف
إن كان هذا يفيدكما .. »

قلت له فى تعب :

- « أعتقد أنك تملك الإجابة عما يحدث هنا .. »

- « سوف تريان .. » - قالها فى غموض - « سوف
تريان .. »

حتى رفيق السجن أو (الزمل) - بضم الزاى والميم
طبعاً - لا يبدو ثرثاراً هنا .. كل الأطراف غير عادلة تتوقع
منا أن نعرف بنفسينا وإلا فلا .. على كل حال أعتقد أن هذا
الرجل ليس عربياً على الإطلاق .. ربما هو هندى أو أفغانى
أو ماليزى ..

وهكذا مرت علينا الساعات .. بين نوم واكتئاب ، واكتئاب
ونوم .. وتساؤلات لا تنفد أبداً ..

بعد ساعات أو أيام أو أشهر - لا يمكن معرفة الوقت فى
هذا الظلام الدامس - جاء من يصحبنا إلى ما يشبه غرفة
التحقيق ..

لا بد أنها كانت ساعات .. لأننى لم أحتج إلى استعمال
الحمام مرة واحدة ولو احتجت لوجدت نفسى فى مأزق ..

★ ★ ★

الآن وقد ثبت إلى رشدى قليلاً يمكن أن أصف لكم
الدكتور (ستارسكى) .. إنه رجل ذو ملامح مزعجة ..
يمكن أن تقول بشكل سطحى إنه وسيم أشقر .. لكن فى
وجهه قسوة وبروداً ، وهو من طراز الوجوه التى لا تشيخ
مما يثير الرعب فى عروقتك .. كأنه وجه مصاص دماء
أو (زومبى) ..

كان هناك مقعدان ، وكان هناك عدد من الحراس مفتولى
العضلات يدس كل منهم سماعة فى أذنه .. لا أعرف من
اكتشف أن الرأس الأصلع يجعل المرء يبدو أضخم وأشرس ،
لكن هذا الاكتشاف بلغ هذا العالم .. وكانوا يلبسون بزات
عسكرية ما لكن بلا غطاء رأس .. هذا المكان عسكرى إذن ..

لماذا يلف كل منهم حول عضده شارة تقول ESF ؟
ما معناها ؟

ثمة جهاز تسجيل يدور ببطء ، وثمة إضاءة تذكرك
بغرف استجواب النازيين ..

ما إن دخلنا حتى أشار لنا بالجلوس ، وقال :

- « هل أقدم لكما مشروبًا ؟ »

- « بالتأكيد .. »

فالحقيقة أن الحرارة كانت مرهقة بالفعل .. من الواضح أننا لم نفارق المنطقة الصحراوية بعد ..

جاء أحد الحراس حاملاً زجاجة بها سائل أصفر ، وبعض الأكواب المملأ بالثلج ، فقال الطبيب وقد رأى ارتباكنا :

- « عصير برتقال لا أكثر .. نحن في وحدة عسكرية ولا يسمح بالكحوليات .. أعرف أنكما معشر العرب لا تشربونها أصلاً ..

وهكذا أمسكت بالكوب .. ونظرت إلى (سلمى) .. كانت ترشف ما في كوبها ، وخلاياها تنتعش .. تينع بعد جفاف .. فعلت مثلها وشعرت بما شعرت به ..

هنا نظرت إلى المنضدة فرأيت الجهاز العزيز .. جهاز الانتقال .. إنه هنا ..

قال الطبيب وهو يصب لي كوبًا آخر :

- « والآن هل يمكنك أن تتكلم ؟ من أنتما ؟ لماذا أنتما هنا ؟ هل أنتما عربيان حقًا ؟ »

ثم لوح بالجهاز :

- « وهذا ؟ ما وظيفته بالضبط ؟ »

قالت (سلمى) وقد بدا أنها تحبس أنفاسها :

- « هذا جهاز خاص للترجمة .. هل تسمح لى ؟ »

مد يده فى تردد ووضع الجهاز فى كفها المفتوحة ، ثم أراح ذقنه على قبضته وراح يتابع ما تفعله ..

- « نطلب رقمًا .. ليكن ٣٠٠ مثلاً .. ثم نضغط حرفًا ..

ليكن (الهاء) .. ثم ... »

كان الجهاز على حجرها ، وكانت تضغط على الأزرار بإصبع واحد ، ثم إنها مدت يدها اليسرى فى رفق لتمسك بىدى اليمنى من تحت مستوى النظر ..

- « نختار رقمًا مثل ... »

هنا هتف الرجل :

- « كفى ! »

- « لحظة .. ٢ .. ٨ ... »

- « قلت كفى ! »

ثم نهض بسرعة البرق وانتزع - ذلك الوغد الذكى - الجهاز من يدها قبل أن تتم عمليتها ، وقال وهو يدسه فى جيبه :

- « لا أعرف ما أنت بصدده لكنى لن أسمح بأن تتجحى فيه .. والآن أرجو أن تجيبا عن أسئلتى .. »

قلت له وأنا أضع الكوب :

- « أسئلتى مثل أسئلتك بالضبط .. من أنتم ؟ لماذا أنتم هنا ؟ هل أنتم أمريكيون ؟ »

تبادل النظرات مع الرجال ثم سالنى :

- « ما معنى (امريكيون) ؟ »

تبادلت نظرة مع (سلمى) .. إما أن تميزى اللهجات فاشل ، وإما أن هذا هو الاختلاف الأساسى .. هذا عالم لا توجد فيه أمريكا .. طبعا سيتضح أن (كولومبوس Colombes) لم يصل إلى ساحل أمريكا ، ربما لأنه كان أحمق ، وقد غرقت سفينته .. أو لأن بحارته ثاروا وألقوه لأسماك القرش .. وهو ما كان سيحدث فى عالمى على كل حال لولا أنهم بلغوا الشط قبل أن يتموا خطتهم ..

هكذا لم أجب وأجابت (سلمى) عن السؤال بآخر :

- « ما حقكم فى احتجاجنا ؟ هل أنتم شرطة ؟ »

تنهّد الرجل فى إنهاك ، وراح يصف أوراقه ، ثم قال دون
أن ينظر لنا :

- « واضح تماماً أننا لن نصل لطريق مشترك .. كلما
سألت سؤالاً تلقيت آخر .. لابد من أن يجيب أحد الطرفين
عن الأسئلة أحياناً .. »

- « قل هذا لرجالك ولنفسك .. »

أشار إلى الشارة المعلقة على عضد الحارس الواقف
جواره ، وقال :

- « نحن من الـ ESF .. هل هذا كاف ؟ هذا يعطينا كل
الحق فى استجوابكما .. »

- « وما هى الـ ESF ؟ »

بدا كأنما تعلم أسلوبنا فى عدم الإجابة على شيء ،
فنهض ورتب أوراقه ، ثم قال وهو يغادر المكان :

- « ثمة طائرة ستحملكما إلى (لوس أنجليس) صباحاً ..
أعتقد أنهم هناك سيعرفون عنكما كل شيء .. »

(لوس أنجليس) ؟ إذن ما معنى أنه لا يعرف معنى
لفظة (أمريكيون) ؟

دنا منا أحد الحراس .. إنه غير مسلح لكن من الواضح أنه لن يتورع عن استخدام العنف .. وهكذا مشينا معه فى تهذيب .. لكنه لم يفتدنا إلى الأقفاص إياها .. بل إنه أجلسنا فى مكتب مكيف مريح نوعاً .. مكتب لا يحوى إلا جهاز كمبيوتر وثلاجة صغيرة .. ثمة نافذة صغيرة وأريكة وثيرة وبعض نباتات الظل .. هناك - لحسن حظ الجميع - حمام صغير نظيف فى غرفة صغيرة جانبية ..

ثم أغلق الحارس الباب ..

بمجرد خروجه فعلت (سلمى) الشيء الذى كنت أعرف أنها ستفعله باعتبارها بارعة فى الإلكترونيات .. لن أقول إنها أكثر براعة منى ، لأنه لا براعة لى على الإطلاق .. لا يمكن أن تقارن بيننا على أساس كثافة شعر اللحية أو نسبة هرمون الأثوثة .. هذه أمور غير واردة أصلاً ..

لقد فتحت جهاز الكمبيوتر ! هذه معجزة كما ترى ..

قالت فى ضيق وهى تتأمل الشاشة :

- « ليس لديهم نظام تشغيل أعرفه .. مثل (الخوارزمى)
أو (الإدريسى) .. لا أعرف كيف يبدأ البحث فى هذا الشيء .. »
تذكرت أن الكمبيوتر فى عالمها اختراع عربى صرف ،

وليس لديهم أسماء كالتى نستعملها على غرار (ميكروسوفت)
(النوافذ) .. الخ ...

لكن على الشاشة - حيث ما تسمونه سطح المكتب -
كانت هناك صورة عملاقة لديناصور (سبيونوسوروس
Spinosaurus) ضخم يقف جوار بحيرة واعدًا بخراب بيت
من يقترب .. وكانت هناك الحروف المعتادة ESF كتبت
بحروف مجسمة عملاقة كأنما تطير مع السحب فى
السماء ..

فيما عدا هذا بدأ أن الشاشة جدار مبهم لا يمكن
تجاوزه ..

حتى الصور الصغيرة - هل تسمونها الأيقونات ؟ - كلها
تمثل ديناصورات متنوعة ..

أغلقت الجهاز وقالت :

- « لا أعرف .. لا يبدو لى هذا المكان ذا طابع عسكرى ..
كأنى بهذا الحاسوب خاص بصبى يهوى الديناصورات .. »
قلت لها فى ضيق :

- « صدقنى أنا لا أهتم كثيرا سوى بالحصول على الجهاز

الكريه .. فى المرة المقبلة يجب التأكد من انه مخفى
بعناية .. ربما لو ابتلغته لكان الأمر أفضل .. »

قالت وهى تجوب الغرفة جينة وذهابا :

- « لو تركنا الأمر لك لانتهدت كل احتمالات هذا الجهاز
خلال ربع ساعة .. ولن نعرف شيئا أبدا .. »

- « أنا لا أبالى كثيرا .. لاحظى أننا نتعلم عن عوالم أخرى ،
لكننا لن نعود أبدا للعالم الذى تكون فيه هذه المعلومات ذات
قيمة .. هل تفهمين ما أقول ؟ لفضة (عجيب) و (غريب)
لا معنى لها إلا فى أرضى أنا .. أما هنا فلا قيمة لرايك .. »

لم تكن تسمع ما أقول .. كانت تنظر إلى النافذة ..

ثم اتجهت لها ورفعت الزجاج .. كانت هناك شبكة دقيقة
محصصة لإبعاد البعوض ، لكن لا توجد حماية أخرى من
أى نوع .. ومن الخارج كان الظلام وبعض مصابيح قسوة
ونسمة هواء حانية رقيقة ..

- « إنهم حمقى .. ما رايك ؟ »

- « ومن أدراك أن الخارج أفضل ؟ »

- « لا أحتاج إلى حكمة العالم كى أختار الفرار من أى مكان

مغلق يقف على بابه حارس .. سل عن هذا أية قطة
أو ذبابة تحترم نفسها .. أى مكان هو أفضل من المكان
المغلق الذى يقف عليه حارس .. »

- « والجهاز ؟ »

- « لن نستطيع استرداده لو حملونا إلى (لوس أنجيليس) ..
ثق بهذا .. »

ثم بحثت قليلاً حتى وجدت فتاحة ورق على المكتب ..
غرستها فى السلك فبدأ ينهار ..
تباً ! لابد أن قرحتى عادت تنشط من جديد ..

تدريجياً اتسعت الثغرة أكثر فأكثر .. وهكذا نظرت لى
باسمة ، ثم حشرت جسدها فى الفتحة .. نسيت طبعاً أن
أقول إننا فى الطابق الأرضى ..

لم يبد لى هذا مريحاً .. ليس الأمر بهذه البساطة ..
لا يجب أن يكون بهذه البساطة ..

على كل حال انتهى ما كان يربطنى بهذه الحجرة ،
فحشرت نفسى عبر الفتحة .. لا يكلفك هذا أكثر من بضعة
تمزقات فى الكفين ، لكنك تعبر فى النهاية ..

أخيراً نقف فى الخارج ..

الرمال والبرد والظلام .. نحن فى الصحراء ليلاً .. هذا واضح ..

لا يوجد حراس .. هذا واضح .. هناك كشافات من بعيد ، لكنها كشافات محايدة ودود لا تبحث بل تنتظر ..

مشينا فى الظلام عاجزين عن معرفة وجهتنا بالضبط .. لا فارق عندنا إن سمعنا (قف !) أم لم نسمعها .. المشكلة الوحيدة هى أن نسمع صوت الطلقات .. لكن لا يبدو أن هناك طلقات حتى الآن ..

كان هناك هدير محرك ، والهدير كان آتياً من سيارة تقف هنالك على اليسار .. سيارة عسكرية هى .. شاحنة عليها علامة ESF اللعينة المعتادة ، وكانت تلوث الهواء بلاكلكل .. هناك جندى يقف على بعد يثرثر مع صديقه ويبدو أنه يمزح .. لكمات على الكتفين وسباب إنجليزى فظ ..

وبالطبع خطرت لنا نفس الفكرة معاً ..

اتجهنا إلى مؤخرة العربة .. وثبت إلى ظهرها ، ومددت يدى إلى (سلمى) أساعدها على الوثب ..

كانت هناك أغطية لعلها قماش خيام .. لا أعرف .. إن الظلام يجعلنى لا أرى يدى كما لاحظتم ..

المهم أننا تدثرنا بهذه الأغطية ورقدنا على بطنينا ..
وهكذا صرنا فى معزل عن الابصار .. محرك يهدر .. معنى
هذا أن الرجل سيرحل ، ولو عاد ليغلق المحرك وينام لقتلنى
الغيظ ..

فجأة سمعت (سلمى) تهمس فى أذنى :

- « هناك أشياء صلبة تحت قدمى .. هل تشعر بها ؟ »

- « لا .. لا أعتقد .. »

مدت يدها تتحسس وهى تغمغم :

- « صبرا .. سارى .. يبدو لى ان ... »

ثم صرخت صرخة أنثوية هستيرية متقنة جداً :

- « (سالم) !! هذه السيارة محملة بعظام بشرية !! »

★ ★ ★

٤- الصيادون ..

مددت يدي تحت الغطاء ورحت اتحسس ..

حقاً هناك عظام .. لكن من قال إنها بشرية ؟ كل العظام
تتشابه وإلا ما كان تمييز العظام المفتتة معضلة معروفة في
الطب الشرعي .. هذا بالطبع ما لم تجد جمجمة واضحة
تنهى التساؤل ..

قلت لها همساً :

- « خفضي صوتك يا بلهاء .. هناك عظام لكن من قال
إن ؟ »

- « أنا أعرف هذا .. »

حسن .. هانحن اولاء نعود إلى الحدس الاتّوى .. نقطة
التي لانجرف معها نحن الرجال على الكلام ويحرسنا بها .
هن شفافات نقبات الروح ونحن ماديون مغلقو 'لروح
كالحجارة .. ليكن .. لكن هذا لا يغير من خطتنا شيئاً .
سنقئ هنا لأن مغادرة السيارة قد يكون اخطر من ركوبها ..

الحق أن هذا القرار كان صعباً لأنها دخلت فى حالة
هستيرية وراحت ترتجف وتتشنج ..

هنا تعالى صوت هدير المحرك .. وكان يوحى بالحركة
هذه المرة ..

إننا ننطلق ..

هكذا توارى صوت نشيجها ورحنا نفكر صامتين ، بينما
رأسانا يرتفعان ويهويان ..

لحظات توقف وكلام ثم تحرك .. واضح أن هناك نقاط
حراسة يقدم عندها السائق أوراقه .. أرجو ألا تكون هذه
النقاط تفتش الحمولة ..

أخيراً يبدو أن السيارة تنطلق فعلاً ..

أزحت الغطاء قليلاً فرأيت الصحراء المظلمة .. النجوم
جليئة محددة كما لم أرها قط .. ثقوب صنعت بدقة فى
الغطاء الأسود الذى يغلف الكون .. ومن بعيد وحوش
لا يمكن أن تعتقد أنها جبال ما لم تلمسها ..

ومن أماننا لم يكن يشق الظلام إلا ضوء السيارة الخافت ..
كأنه عصا سيدنا (موسى) تشق أمواج البحر الأحمر .. طريق
يولد فى كل لحظة ويختفى فى اللحظة ذاتها ليولد مزيد منه ..

الأغرب هنا أنني أرى مشهداً على كوكب آخر .. مجرة
أخرى ! لا أعرف كيف أصف هذا .. لا أعرف كيف أصدقه ..
لكنه بالتأكيد حقيقى ..

ارتجفت رهبة .. تمالكت نفسى .. ثم ألصقت وجهى
بوجه (سلمى) وقلت بصوت عال هذه المرة :

« أعتقد أن هذه العظام آدمية بالفعل و... »

« قلت لك هاذا!!!!!! »

وبدأت فى مزيد من الصراخ ، فوضعت يدى على فمها
لتخرس قليلاً :

« لم أطلب منك استئناف الهستيريا .. دعينى أكمل
كلامى .. ما دامت هذه العظام آدمية وهذا معسكر حربى .
فمن الواضح أن الأمر يتعلق بجريمة حرب ما .. هذه
العظام تخص ضحايا المعسكر ! »

« وماذا تقترح ؟ »

« ثمة احتمال لا بأس به فى أن يكون هدف هذه الرحلة
التخلص من هذه العظام - بقايا مذبحه ما - فى الصحراء بعيداً
عن العيون ، وهذا يضع أمامنا احتمالاً لا بأس به أن تكون

الصحراء بهانه الرحله وبعدها يعود الرجل إلى المعسكر ..
أى أننا لسنأ ذاهبين إلى أى مكان .. إن هى إلا رحلة فى
هواء الليل بعدها نعود حيث كنا ...

بدأت تستجمع ذكاءها نوعا ، وقالت :

- « لا أرى هذا .. لن يستطيع السائق وحده إفراغ العربة ..
لا بد من أحد عاملة معه .. »

- « ومعنى هذا ؟ »

- « معناه أنه بالفعل ذاهب إلى مكان ما .. قاعدة أو محطة
أو مدينة .. »

وهكذا لبثنا راكدين نراقب الصحراء .. الصحراء الصامئة
العجوز التى لا تعبأ بشيء .. لقد رأت الكثير ولم تعد تهتم
بسيارة عابرة ..

فقط ارتجف لفكرة أن هناك فى الظلام تتحرك ألف حياة
وحياة . ألف حياة تنتهى بين أنياب ألف حياة تحاول
الاستمرار .. ترفد بين العظام تحت غطاء من النجوم فى
صحراء مجهولة قاصدة وجهة لا تعرفها .. كل هذا على
مجرة لم تسمع عنها قط لكنها تشبه عالمنا سطحيًا ..

وفكرت فى منظر السيارة وهى تعبر المدق الصحراوي

فى هذه الساعة .. مسكينة هى الأشباح والغيلان فى
الفيافى ! لابد أنها تصاب بهلع كبير حين ترى هذا المشهد
المخيف يقطع خلوتها ..

لابد اننى نمت .. من اليقين أننى لم أغض عيني ثانية
واحدة ، لكن كيف تفسر أن وعيى غاب عن الكون
للحظات ، بعدها شعرت بـ (سلمى) تهز كتفى ..

- « يبدو أننا ندنو من شىء .. »

رفعت رأسى ، فوجدت بوابة عملاقة تدنو منا ببطء ..
بوابة تحرس ما بدا لى كمدينة صحراوية كاملة .. رقعة
تستحم فى أضواء باهرة .. وثمة مبان حقيقية تتناثر هنا
وهناك ..

قالت لى :

- « هل ترى أن نشب الآن ؟ »

فكرت حيناً ثم هزرت رأسى أن نعم .. ليس من مصلحتنا
أن نجتاز هذه الأسوار .. لانعرف ما يوجد بالداخل ، ثم إن
الاحتمال الأعم هو أن يأتى عمال ليفرغوا الشاحنة .. هذا
هو ما توقعته ..

لا أعرف ما يدور خلف هذه الأسوار .. هل هذا مدفن
علاق لضحايا المعسكر السابق ؟ لن أندش لشئ حتى
ولو اتضح أن هذه (لوس أنجيليس) نفسها ..

كانت سرعة السيارة الآن أقرب إلى التوقف منها إلى
السير .. نهضنا ثم وثبنا ..

وبعد قليل كنا على الرمال الباردة المبللة بالندى ..

هكذا يمكن إلى حد ما القول إننا عدنا إلى لحظة
البداية .. فقط ازددنا علماً - أو حيرة - وفقدنا الجهاز ..

خلف أحد الكتبان القريبة رقدنا منبطحين ورحنا نراقب
المشهد الذى يدور من بعيد .. البوابة تفتح والسيارة تتقدم
ببطء إلى الداخل .. البوابة تغلق .. الأضواء الصامتة
لا تثرثر بالكثير ..

قلت لـ (سلمى) :

- « تعالى نحاول ترتيب ما عرفناه .. أولاً هذا عالم لا توجد
فيه أمريكا لكن يوجد فيه أمريكيون .. ولا أعرف كيف .. »

قالت وهى تفكر فى عمق :

- « لدينا صورات أهمية خاصة فى هذا العالم .. لا تنس
أننا فى أرض العطايا ويعلم الله ما معنى هذا .. »

أضفت أنا :

- « هؤلاء القوم وحدة عسكرية ما .. ربما طبية كذلك ..
والأمر على الأرجح يتعلق بضحايا مذبحة يتم التخلص منهم .. »

ثم نظرت لها فى غباء وفردت كفى :

- « جميل .. لكن ما معنى هذا ؟ »

- « لا معنى له .. ثمة قطع كثيرة تحتاج إلى قطعة ترتبط
بينها كما يحدث مع ألغاز الأطفال Jigsaw .. وهذه القطعة
لا بد أن تكون طرفاً آخر لا نعرفه .. »

- « هل تعرفين ؟ أعتقد الآن أنه كان من الخطأ أن نثب
قبيل دخول المدينة .. لو كانت هناك إجابات فهي فى
الداخل .. »

ونظرت إلى المدينة الصحراوية الملتفة بالأنوار ، ومن
بعيد كثبان الرمال ..

شعرت بقشعريرة تزحف على عمودى الفقرى وغرقت
فى تفكير عميق ..

فجأة حدث الشيء الذى لا تتوقعه والذى يغير كل شيء
بشكل غير مسبوق ..

هذا يفسر تأثير (الستيريو) العجيب الذى شعرنا به .. إن
الطلقات تأتي من فوقنا ومن أمامنا فى الوقت ذاته .. ومن
الجلى أنهم لم يرونا فى الظلام .. لقد كنا وسط السواد كأننا
مجموعة من الصبار ..

- « فلنتوار قبل قدوم الطائرات ! »

كان قاتل هذا أحد الرجال ، وقاله بالعربية .. عربية
واضحة جدا لم أصدق أننى أسمعها ..

طبعا كان من الواضح أننى لا أستطيع أن أعلن عن
وجودى .. لا أستطيع أن أقف لأتكلم لأن الكلمة الأولى منهم
ستكون طلقة من هذه الطلقات ..

لكن (سلمى) تصرفت بلا تفكير ..

رفعت ذراعها دون أن تنهض وصاحت :

- « نحن هنا ! لا تطلقوا الرصاص !! »

- « (سلمى) يا بلهاء ! لا تـ... »

طلقة واحدة مرت جوارها وبعثرت الرمال فى كل
مكان .. ثم ...

انقطعت الطلقات من أعلى ولم تعد إلا طلقات من أسفل ..
من موضع المدينة الصحراوية ..

صاح صائح من عل :

- « من أنتما ؟ هل عريبان ؟ »

- « نعم .. ونقسم على هذا .. »

فليس الوقت مناسباً لأخذ قياسات الجمجمة وعينات الحمض النووي .. آخر وقت ومكان يصلح للدراسات الأنثروبولوجية هو فى ميدان رماية رصاص ..

- « إذن تعالينا معنا بسرعة ! إن هذه المنطقة ستتحول إلى محرقة حالاً .. »

وثبنا من مكاننا ورحنا نتسلق بينما قلبانا فى حلقينا ..

أخيراً صرنا وسط هؤلاء ، ولم يكن الوقت مناسباً لتبيين وجوههم أو إجراء تعارف مناسب للسادة المهذبين .. فقط راحت أيد قوية تقودنا كما يفعلون بالدلاء فى الحرائق .. يد تلو يد تلو يد ، حتى صرنا عند مدخل كهف فى سفح تل من التلال ...

- « ادخلا بسرعة !! »

ولم أدخل بالسرعة الكافية .. استغرقت وقتاً يكفى لأن أرى .. أرى سيلاً من القذائف النارية كأنها النيازك ينطلق من المدينة الصحراوية قاصداً المكان الذى كنا فيه .. هذه القذائف

غريبة جدًا .. إنها لا تسقط كما تسقط القنبلة العادية .. بل
هي تنتشر أولاً كأتما هي مليئة بسائل نارى ، ثم تشتعل كل
البقعة بلهب أخضر عجيب .. يلى هذا انفجار يذكرك
بالبراكين التى تراها فى السينما ..

كان هذا كافياً كى أدخل ..

وفى اللحظة التالية انغلقت فتحة الكهف وصرنا
بالداخل ..

★ ★ ★

٥ - أبوالعناهية وآخرون ..

لم يكن المشهد عبارة عن مدينة داخل الجبل كما توقعنا ..

كان كهفًا بالفعل .. لا يميزه شيء إلا عشرات المشاعل ، وكان هؤلاء الرجال متناثرين فيه .. وكانوا ...

فجأة ارتج المكان لأن قنبلة على ما هو واضح ارتطمت بالكهف من الخارج ..

سقطت على الأرض .. وسقطت (سلمى) .. لكن بدا أن قوانين الجاذبية لا تؤثر في هؤلاء ..

قلت وأنا أنهض :

- « سيهدمون هذا المكان على رءوسنا .. »

قال أحدهم وهو يجلس على الأرض :

- « لا .. الجبل أصلب مما تتوقع .. ثم إنهم لا يملكون أدنى فكرة عن كوننا بالداخل .. هم يتوقعون أننا متوارون

فى مكان ما بالخارج .. هكذا نتعامل معهم .. كل جبل هنا
غرفة عمليات نخرج منها ونفعل ما نريد ثم نعود لتتوارى
فيها .. »

وقال آخر :

- « وفى كل مرة يتساعنون : أين ذاب هؤلاء ؟ لكن برغم كل
شيء تظل الفتحة واضحة لمن يدقق البحث .. لا بد من
واحد منا يأتى فيما بعد ليسدها بعناية من الخارج .. »

برغم كل شيء فأتا سعيد بكونى أسمع العربية .. عربية
لا أنسى أبدا أنها عربية مجرة أخرى ، لكن هذا لا يمنع
شعور الألفة الذى شعرت به ..

نسيت أن أصفهم لكم .. كانوا مجموعة من الثوار ..
كيف عرفت هذا ؟ لأننى عبقرى طبعا .. كل منهم يحمل
بندقية آلية وقد لف حزامين من الطلقات على كتفيه على
شكل X على طريقة الأخ (زاباتا Zapata) ، وعلى وجهه
ملامح العيش الخشن .. ذقون غير حلقة .. قسّات سمراء
قاسية .. ثياب هى خليط من عدة أجناس معا .. هناك كوفية
منقطة أو اثنتان ..

ومد اثنان ساعدين قويين ، وتصافحا ثم تعانقا وتبادلا
القبلات على الخدين :

- « نجحت العملية ! »

- « حمداً لله !! »

لا يحتاج الأمر إلى مترجم كي يعرف أن هؤلاء القوم هم
الذين دبروا الانفجار داخل تلك المدينة الصحراوية ..

الآن جاء وقت السؤال المهم .. السؤال المهم الذى وجهوه
لنا :

- « من أين جئتما ؟ »

قالت (سلمى) وهى تنفض الرمال عن شعرها :

- « من ذلك المعسكر .. ذلك الـ ESF .. ركبنا فى مؤخرة
شاحنة للفرار ووثبنا قبل أن تدخل المدينة .. »

- « أنتما سعيدا الحظ .. فررتما فى الوقت المناسب بالضبط ..
لقد كانت هذه الشاحنة منعمة وقد انتظرنا هنا حتى مرت
من البوابة ثم ... هوب !! »

شعرت بركبتى تتهاويان من تحتى .. إذن كانت الشاحنة
تحتوى أشياء أخرى غير العظام .. أشياء لا تقل هولاً ..

وقال آخر :

- « هل رأيتما ما كانت الشاحنة تحمله ؟ »

ابتلعت ريقى ولم أرد :

- « حسن .. لقد دفنا تلك العظام فى الصحراء مع جنود

عديدين منهم .. »

قالت (سلمى) :

- « لا أدعى أنى أفهم شيئاً فى حروب العصابات
ولا الاستراتيجية .. لكن ماجدوى إطلاق البنادق الآلية
إذن ؟ لقد حسبنا أنكم ستهاجمون أو تحمون ظهر زميل لكم
بالداخل .. »

ضحك الرجل الذى بدأ الكلام طويلاً وقال :

- « هذا توقيعنا !! حتى لا يعتقدوا أن ما حدث كان بفعل

حادث .. نقول لهم إننا الفاعلون .. »

ثم صافحنى بيد تشبه جرافة البلدوزر لو أن هذه كانت
شديدة الخشونة ، وقال :

- « أنا (أبو العتاهية) .. وأنت ؟ »

بدا لى الاسم غريبًا .. هو على الأرجح اسم حركى ..
قلت له :

- « أنا (سالم) .. هذه زوجتى (سلمى) .. »

قالت (سلمى) فى مودة :

- « مساؤكم حبيب .. »

تلك التحية المستعملة فى عالمهم ، والتى ما زلت أشعر
بأنها ذات طابع سوقى ، بينما تصر هى على أن (مساء
الخير) أكثر سوقية ..

سأل الرجل :

- « ومن أين جئتما ؟ »

أه ! سأفسد كل شيء إذن .. لكنه قاطعنى قبل أن أرد
ملوحا بيده :

- « لا عليك .. كلنا لانعرف من أين جئنا .. لكننا هنا .. »

قالت (سلمى) وهى التى لم تعد أن تحبس أسننتها
كثيرًا :

- « لا أزعم أن هذا يضايقتى ، لكن ما الذى يدعوكم للثقة
بمن ترونه لأول مرة منذ ربع ساعة ؟ »

- « لهجتك .. هذه اللهجة لا يتكلمها إلا عربى مثلنا ..
ولو تصنعها أحدهم لفضح نفسه .. كما أنه لا يوجد
جواسيس بيننا .. هؤلاء القوم لا يستخدمون الجواسيس .. »

نظرت إلى الكهف ، فوجدته ينتهى عند هذا الحد ..
لا يوجد امتداد .. هذا مكان جيد للاختباء لكن أين حياتهم
ذاتها ؟ أين قراهم ؟ أين واحاتهم ؟ أين نحن بالضبط ؟

لسبب ما عرفت أن على ألا أسأل كثيراً ، وقد خمنت
(سلمى) الشيء ذاته .. هم اعتبرونا منهم بشكل ما ،
واعتبروها بديهية .. لو بدانا فى الأسئلة سيعرفون على
الفور أننا متسلان .. ربما جاسوسان .. ولتكونن غضبتهم
مرعبة ..

من الأفضل أن نستمر فى أداء الدور الذى برعنا فيه ..
لا نتكلم على الإطلاق ونجيب عن الأسئلة بأسئلة ..

قال أحد الرجال :

- « أعتقد أنه من الأفضل أن نتفرق .. »

ثم أشار لنا :

- « أعتقد أن (جمشيد بن عباس) يجب أن يراهما .. »

دنت منى (سلمى) وهمست فى شىء من التوتر :

« ما هذه الأسماء الغريبة ؟ »

« ليست غريبة .. إنها أسماء من أعلام العرب ..

(جمشيد) عالم من علماء الجبر .. »

قالت فى غيظ هامس :

« يا للعبقريّة ! إن هذه الأسماء موجودة فى كوكبى

كذلك .. بل هى التى حددت تاريخ الكوكب كله ، لكن ألا ترى

من الغريب أن تتخذ هذه كأسماء كودية لمجموعة من

الثوار ؟ »

تذكرت أن وضع العرب فى عالم (سلمى) يخطف

الأنفاس .. إنهم قوة عسكرية واقتصادية مرعبة ..

(أ.ع.م) أو (أمة عربية متحدة) .. وبالتأكيد هناك من

العلماء العرب من لم نسمع نحن عنهم فى أرضنا .. لكن

اعتراضها وجيه بحق ..

ما معنى هذا ؟

هنا وجدنا الرجال يشيرون لنا كى نلحق بهم .. إلى

الجهة الأخرى من الكهف ..

فتحة كالتى دخلنا منها .. يزاح الغطاء فترى الصحراء
من جديد .. هذه المرة وقد بدأت تستحم بلون الفجر
الوردى .. يخرج أول الرجال جسده من الفتحة ويتلصص
حوله ، ثم يزحف إلى الخارج ونتبعه نحن ..

فى الخارج كنا على الجانب الآخر من التل ، لكن الحقيقة
هى أننا كنا على ارتفاع كبير .. لم أدرك هذا إلا حين
ارتقيت التل أكثر وألقيت نظرة ..

من الغريب أن المدينة الصحراوية تحولت إلى بقعة
صغيرة عند قدمى ، وبدا لى هذا غريباً .. إن الكهف لم يبد
لى بهذا الاتساع قط ..

خرجنا أربعة من الكهف كما ترى ، فعكف آخرنا على
سد الفتحة .. أولاً يضع قطعة من الورق المقوى ليسد بها
الفتحة ، ثم يهيل عليها بعض الرمال المبتلة المعجونة
بالماء من قارورة يحملها ، ثم يضع بعض نباتات الصبار ..
حين تجف هذه مع الشمس سوف يكون من العسير تبينها
إلا لعين مدربة تعرف ما تبحث عنه ..

لا أعرف كم من الوقت مشينا لكن الشمس كانت قد بدأت
تغلى السماء ..

كنت أفكر .. ماذا لو ظهرت طائفة عمودية جديدة ؟ لقد
مررنا بموقف مماثل ، ووجدناه سيئاً بما يكفى .. ماذا يضمن
لهم أمن هذه المسيرة فوق الرمال مكشوفين كنمل على
مرآة ؟

قالت (سلمى) وقد عرفت ما أفكر فيه :

- « يبدو أنهم يعرفون أماكن ومواعيد تلکم الدوريات .. »

وتوقفت عن الكلام ، لأن أحد الرجال كان يفتح فجوة من
الرمال المزيفة والصبار فى كهف ..

هؤلاء القوم يجدون طريقهم ببراعة حقاً ، لكن أية حياة هذه ؟

★ ★ ★

والآن دعنى أقدم لك الأخ (جمشيد بن عباس) ..

أولاً هو مسن جداً كما ينبغي أن يكون .. لحية طويلة
بيضاء على صدره ، وغطاء رأس عربى (شماغ) يغطى به
رأسه من دون عقال .. وجه مسن مقعم بالتجاعيد .. ربما
يذكرك بلحاء شجرة عجوز فى مدرستك القديمة .. لكن
تحت هذا الرأس الواهن هناك جسد قوى لم تذبل عضلاته
بعد .. على الأقل هو أقوى من جسدى أنا .. ولدرجة ما كان

منظره يذكرنى بصورة (أنتونى كوين) فى دور (عمر المختار) ..

جواره تجد (الفارابى) و (أبو الأسود الدؤلى) و (الخليل ابن أحمد الفراهيدى) .. هكذا أسماؤهم التى عرفتھا فيما بعد مما يدل على أن ملاحظتنا كانت صائبة .. لن تجد كل هذه المجموعة من أعلام العرب فى مكان واحد مهما حاولت .. إلا فى الموسوعات طبعا ..

كانوا مدججين بالسلاح يفترشون الأرض .. وكانت هناك أقذاح قهوة و (دلة) .. بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الرجال .. وكان سقف الكهف مجوفاً بطريقة تجعله أقرب إلى مدخنة .. ويبدو ان هناك نظاماً ما للتخلص من الدخان وإدخال الهواء .. بدائى لكنه فعال ..

يبدو أن هذا هو مقر القيادة الرئيسى .. كل شيء يوحى بهذا ..

نظر لنا (جمشيد) من تحت حاجبيه الكثرين ، وقال :

- « السلام عليكما .. من أين جئتما ؟ »

كان له صوت عميق ملء بالحكمة .. صوت لا يجب أن تمزح معه .. لا تستطيع المزاح معه .. كانت ليلة منهكة ولم يغمض لنا جفن منذ ساعات ، لذا قلت كلمات غبية على غرار :

- « لسنّا من هنا .. نحن من هناك .. تسألنى لماذا جننا
من هناك .. أقول لأن هنا أفضل من هناك .. »

هراء كثير من هذا الطراز ، وكان هو ينصت ويهز رأسه
كأنما يصدق كل حرف لكن الشك فى عينيه العجوزين صار
عادة ..

قال أحد مرافقينا :

- « إتهما فرا من معسكر الـ ESF .. ركبا شاحنة ترجلا
منها قبل المدينة .. »

- « إذن هما مجدودا الحظ .. لو بقيا بضع دقائق
لاتفجرا .. »

ثم ناول كلاً منا قدحاً .. وأمر بمن يصب لنا القهوة
العربية فى الأقداح .. فلما فرغت من قدحى عاد الرجل
يصب فيه المزيد .. قالت لى (سلمى) همساً :

- « لو اكتفيت هز القدح حتى لا يعيد ملأه لك .. »

ما هذا المكان ؟ أسماء عربية وتقاليد عربية تمارس بدقة
أمنية .. ثمة خاطر يسيطر على .. هؤلاء القوم يجاهدون
لاثنين للاحتفاظ بهويتهم .. إن هذه الأسماء هى صورة
رمزية لمن ينشأ أطفاله فى تراب أرضه كي لا ينتزع منها ..

ظل الرجل ينظر لنا بعض الوقت ، ثم قال :

- « هل ترغبان فى المشاركة ؟ »

- « بالتأكيد .. »

دون أن ندرى ما هذا الذى نشارك فيه .. لكننى احتفظت
بسياسة الموافقة على أى شىء كى لا أسأل ..

قال الرجل :

- « إنهما متشابهان كتوعمين .. »

فعلاً تعالت أصوات الرجال تؤكد أن نعم .. هذا غريب ..
حقاً ..

- « وملاحظتهما تختلف عنا .. بشىء من المعالجة يمكن
أن يبدوا منهم .. هل أنتما أخوان ؟ »

قلت فى حرج :

- « زوجان .. »

- « هذا غريب .. لا يوجد ما يدعو لتشابه الأزواج إلا فى
ظروف نادرة .. عندما يكون تفاهمهما مطلقاً .. »

هنا سألتنى أحدهم وهو من يدعونه (سلمان) :

- « هل تتكلم لغة غربية ؟ »

قلت في ارتباك :

- « نعم .. الإنجليزية .. بالفعل .. »

ابتسم الوجه العجوز وقال :

- « هذا يرجح الكفة أكثر .. لا أحد منا يجيد لغة غربية ..

هذه نقطة مهمة .. ثم إن جسديهما من القياس ذاته .. »

ثم أشار لنا إلى بعض الأغذية على الأرض .. وقال
بلهجة آمرة :

- « أنتما منهكان .. الآن تنامان وعند الاستيقاظ تعرفان

ما يجب عمله .. »

بالطبع لم تكن بنا من حاجة إلى هذا الأمر .. ولم نفرق
في التفكير طويلاً لأننا حين اتخذنا وضعاً أفقياً تصرفنا كذلك
الألغام النازية : التي لم تكن تنفجر إلا حين تميل نوعاً إلى
المستوى الأفقى .. وانفجارنا كان غطيظاً وخليطاً من الأحلام ..

فقط أذكر أن آخر كلمة قالتها العزيزة (سلمى) :

- « هل لاحظت هذا المدعو (سلمان) ؟ »

قلت في تعب :

- « م م م ؟ »

- « يبدو لي أن هذا هو اسمه الحقيقي لا الحركي .. اسمه
(سلمان) .. ألا ترى شيئاً غريباً ؟ »

- « م م م .. وما في ... م م م .. ذلك ؟ »

- « إنه يبتسم ابتسامة بزاوية فمه اليسرى !! ابتسامة
تبدو لي مألوفة .. »

★ ★ ★

٦- التنكر ..

حين صحنونا عند العصر ، قدموا لنا وجبة تتكون من الفول المهروس .. وكان هناك الكثير من التمر .. معنى هذا أن لهؤلاء القوم مكاناً آخر غير هذا .. ربما واحة قريبة ..

لم يكن المكان مريحاً .. ربما هو خائق كذلك ، يفكر كثيرًا بشبكة المجارى التى كنا نعيش فيها فى أرض المغول ، وإن كانت الكهوف أنظف وأعطر رائحة من المجارى طبعاً ..

كنت فى حاجة ماسة إلى شخص يجلس معنا ونبدأ فى سؤاله .. من البداية .. قل لنا يا أخى : ما معنى كذا وكذا ؟ لماذا يبدو كذا كذا ؟ ما اسم اللعبة وما قواعدها ؟

لكننا لا نجروا أبداً .. فى هذا العالم وسط هذه الأحداث يسهل اعتبارك مجنوناً - لو كنت سعيد الحظ - أو جاسوساً ..

★ ★ ★

عند الغروب ظهر (جمشيد بن عباس) .. أين كان ؟ لا أدري لكننا لم نره فى الكهف لدى استيقاظنا ..

كانت ثيابه قد اختلفت قليلاً وإن كان مدججاً بالسلاح ،
وقد التفت حوله عدد من الرجال ، سأعرف أسماءهم فيما
بعد وإن كانوا يحملون أسماء مثل (امرؤ القيس) و(جابر
بن حيان) ..

ابتسم لنا وبصعوبة يمكنك أن تعرف أن هذا الأخدود
الذى ظهر فى ملامحه ابتسامة .. وقال :

« نمتما جيداً ؟ ليكن .. هل تحبان (فيروز) ؟ »

طبعاً كان هذا آخر سؤال يمكن أن نتخليله فى التاريخ ..
بالصدفة كلانا يعشق (فيروز) لكن ما أهمية هذا السؤال
الآن وهنا ؟

مد أحد الرجال يده إلى جهاز عتيق وضغط على زر ،
وعلى الفور تصاعد الصوت الرخيم يحكى عن (شادى)
الذى (ركض يتفرج) وهو مازال (بعد صغير عم يلعب
عائل) ..

كان الجهاز فى أسوأ حال ، حتى لم يكن يصلح إلا
كمبراة ، كما أن الحجارة الجافة المثبتة إليه تم غليها عدة
مرات .. دعك من آثار العض التى تدل على محاولة إطالة
عمر تكرر كثيراً ..

قال (أبو العتاهية) وقد لاحظ دهشتنا :

- « نعم .. لا توجد حجارة جافة فى أى مكان .. لكننا سرقتنا
عدداً منها منهم منذ سنين .. »

قال (جمشيد) وهو ينظف سلاحه :

- « هناك جولة اليوم .. حوالى مائتين قادمون .. نعتقد
أنكما قادران على الاندماج بينهم .. نريد معرفة كل شىء
عن العرض .. ماذا ستريان ؟ »

تبادلت و(سلمى) النظرات ..

الحقيقة أننا لانفهم شيئاً على الإطلاق ..

هنا جاء أحد الرجال يحمل ثياباً نظيفة مطوية بعناية ..
هناك شعر مستعار أشقر وأشياء أخرى لا أعرف ما هى ..

قال (جمشيد) دون أن ينظر لنا :

- « ستدخلان الآن إلى إحدى الفتحات الجانبية لتستبدلا هذه
الثياب بما تلبسان .. ثمة لمسات نضيفها نحن .. لكن لا تنسيا
أننا فقدنا الكثيرين من رجالنا كى نحصل على هذه الثياب ..
حافظا عليها .. »

وهكذا دخلنا أنا و(سلمى) أحد الشقوق فى الكهف ، وعلّق

لنا أحدهم مشعلاً كي نرى بعضنا .. كنا فى حالة مروعة من الغباء لكننا لانجسر على توجيه أسئلة .. ثيابنا واحدة على كل حال .. قميص بلون خاكي وسروال (جينز) أزرق .. ثم حذاء ان رياضيان ..

فرغنا من ارتداء هذا كله ، ثم إن (سلمى) ثبتت الشعر الأشقر المستعار على رأسها ، فكانت النتيجة لا بأس بها .. صحيح أن بشرتها خمرية ، لكن طقس الصحراء هذا يجعل أية بشرة تحترق ..

ثبتت أنا الجمرة على رأسى ، ولم أر نفسى لكنها هزت رأسها بمعنى أنه لا بأس بى ..

ثمة أشياء فى الجيب .. مددت يدى أبحث ، فوجدت بطاقة بلاستيكية مزودة بدبوس تصلح لتعليقها على الصدر .. فهمت الآن لماذا رأى الرجل أنه لا مشكلة .. إن الصورة لرجل أشقر ، مع كثير من الظلال ورداءة التصوير تجعل تعرف ملامحه مستحيلاً .. فقط كانت البطاقة المغلفة تحمل شارة ESF .. لاحظت أن الجنسية تشير إلى أننا (ولايات شرق) .. لم أفهم معنى هذا ..

فيما بعد عرفت أن أهمية (ولايات شرق) هذه أن بوسعنا أن نتكلم إنجليزية غير متقنة .. فلا يفتضح أمرنا لأن إنجليزيتنا لن تخدع غربياً بالتأكيد ..

وكذا خرجنا إلى القوم فأبدوا الكثير من الاستحسان ..

أضافوا بعض اللمسات مثل كاميرا حول كتفى .. وحقيبة
ظهر لـ (سلمى) .. وزجاجتى ماء لكل منا .. ثم أضافوا
أسوأ جزء فى الموضوع .. عدسات ملتصقة زرقاء اللون ..
لقد تبدل منظرنا تمامًا ، وأستبعد أن تتعرفنى (سلمى) لو لم
ترنى أنتكر أمامها ..

هؤلاء القوم مستعدون تمامًا .. لكن يمكن القول إن هذه
الأشياء كلها مسروقة من غربيين حقيقيين .. ربما ميّتين
كذلك .. هذا مفهوم .. وإن كنت لأحب كثيرًا أن أسأل
أسئلة بصدد مصدر العدسات الملتصقة !

كنت قد كنت - بعقريتى المعهودة - بعض الاستنتاجات ..
هم يريدون منا أن نتنكر كغربيين .. لماذا ؟ طبعًا لنندس ..
نندس فى ماذا ؟ فى الجولة التى بها نحو مائتين ..

حقًا إن الترتيب المنطقى يقود إلى الحل دائمًا !

قال (جمشيد) :

- « لا بأس .. لاحظنا كل شيء .. (أبو العتاهية)
سيقودكما إلى هناك .. »

ثم انصرف إلى أحد رجاله ، وبدأ كأنما نسى الموضوع
تماماً وفتح موضوعاً آخر ..

★ ★ ★

تحت ستار الظلام نتسلل فى الصحراء ماشين خلف
(أبو العتاهية) .. النجوم تعطى ضوءاً لا بأس به أبداً ..
تشعرك بالآلفة برغم أنك لا تميز نجماً واحداً مألوفاً لك ..
لا بد أن (وعاء الدب الأكبر) هنا يدعى (طشت غسيل
التمساح) أو أى شىء مماثل ..

كان هناك ضبع نظر لنا من بعيد ، ثم قرر أنه بائس
وحيد ففضل الانصراف ..

لا بد أننا مشينا نحو نصف ساعة .. كنا فى الحقيقة ندور
حول تلك المدينة الصحراوية الغامضة .. رأساتنا يزدحمان
بالأسئلة لكننا لانجرو ، وعلى كل حال كنا قد قدرنا أن هذه
الجولة ستشرح لنا كل شىء .. ستلعب دور كتاب التاريخ
الذى قرأته أنا فى أرض المغول فأعفانا من أسئلة مربكة ..
قال لنا (أبو العتاهية) وهو يتقدمنا :

- « النصيحة المهمة هى : لا تتبدلا أية كلمة عربية .. أنتما
غربيان فى كل شىء .. ثم إنكما وحيدان تماماً ولو وقعتما

فى أيديهم فلا علاقة لكما بأى شىء .. لن تعرفا كيف
تجداننا .. »

ثم أشار إلى الكاميرا وقال :

- « هذه لا تعمل .. لكنها تطلق ضوءاً .. حاول أن تبدو
فضولياً .. »

هذا الجزء بالذات لا يحتاج إلى توصيات .. لن يحتاج إلى
أى جهد منا .. إن الفضول يقتلنا بالفعل ..
أخيراً رأينا مشهداً عجباً ..

كان هناك سياج من السلك .. سلك مضلع يذكرك بالذى
تثبته فى دارك لتتقى البعوض .. ومن بعيد - على مسافة
ثلاثين متراً - كانت هناك طائرة متوسطة الحجم .. لها ذات
منظر حاملات القوات التى تراها فى الصور .. إنها تخص
الجيش .. جيشاً لا يعلم كنهه إلا الله .. وعلى بعد أكبر كانت
هناك طائرتا هليكوبتر وطائرة تبدو لى كالمقاتلات ..

كانت الطائرة المعنية واقفة تهدر كالوحوش ، غارقة فى
الأضواء .. وأدركت أنها وصلت من فورها .. كانت هناك حركة
غير عادية ، مع عملية تقريب سلم على عجلات من بابها ..

- « بالضبط فى الموعد .. »

قالها (أبو العتاهية) وهو يدنو من السور ويثبت أظفاره
فى فجوات السلك ..

ثم نظر لنا وقال :

- « حين ينزل الركاب تدخلان .. لا توجد حراسة هنا ،
ويسهل أن تندمجا وسط الفوج .. الركاب سينتشرون فى كل
مكان ومن المستحيل مراقبتهم .. كما أننا نعرف أنهم
لا يجرون حصراً لهم .. الجولة تنتهى غداً فى نفس الوقت ..
سأكون هنا لأساعدكما على الرحيل .. »

هتفت (سلمى) :

- « تتكلم كأنه لا يوجد سلك .. »

ابتسم ومد يده ليرفع جزءاً من السور .. واضح أن
هؤلاء القوم مزقوا أجزاء من السياج من قبل ، صانعين باباً
يدخلون منه متى أرادوا .. وحين يعود السلك لمكانه
ويثبتونه بالخيط يصعب أن تلاحظ أنه ممزق ..

أخيراً بدأ الركاب ينزلون من الطائرة ..

بالفعل سادت الفوضى ، وبدأ كأن الساحة أماناً تحولت
إلى نوافذ الدرجة الثالثة قبل مباراة كرة قدم .. هم مائتان
لكنهم يقومون بما يقوم به ألف من صخب وفوضى ..

وفى هذه اللحظة همس (أبو العتاهية) :

« هيا .. لا تنتظرا للوراء .. كونا طبيعيين .. »

يبدو أن للرعب دوراً مهماً فى اتخاذ القرارات الحاسمة ..
لا أعرف كيف ولا متى وجدنا أنفسنا بالداخل ، ولا كيف
اجتئنا المسافة الحرجة بين السور والزحام ، لنتحول من
(متسللين) إلى (ربما كان هذان معنا من البداية) ..

ولم ننظر إلى الوراء ..

الزحام كله من القرييين .. والأجمل هنا أن أكثرهم
يلبسون مثلنا .. هذه ثياب صالحة للرحلات أو لغرض
(السافارى) .. وقد ذكرنى منظرهم بالسياح الواقفين عندنا
خارج معبد الكرنك بانتظار الدليل الذى يلوح لهم طالباً أن
يتبعوه ..

سرعان ما اندمجنا وسط الزحام .. وكأنت هناك كلمات
بالإنجليزية والفرنسية والألمانية .. فتاة تلتقط الصور لصديقتها
وصديقها .. رجل يجمع بعض الرمال فى كيس .. مزاح .. بعض
العجائز الأترياء من طراز المومياوات إياه الذين نراهم فى
مصر ، والذين يجمعون المال طيلة حياتهم لينفقوه فى رحلة
العمر .. وبعض السياح الشباب الذين لا ينفقون أكثر من
ربع دولار يومياً والذين تعرفهم مصر كذلك ..

بعد قليل ظهر رجل يبدو أنه عسكري ، وكان يضع
(بادج) صغيراً يقول : ESF وأمسك بمكبر صوت وقال
بإنجليزية جيدة :

- « إن المركز الصحراوي الرئيسى يرحب بكم .. »
وكررها ثلاث مرات إلى أن انتهت الضوضاء وصار
قادرًا على سماع نفسه ..

- « .. ستكون هذه رحلة الأحلام ، وقد خصصنا لكم خياماً
مكيفة ووجبة عشاء ساخنة .. تبدأ الجولة صباحاً ، إلا إذا
رغب بعضكم فى استكشاف الصحراء ليلاً .. هناك طائرات
عمودية مخصصة لهذا .. »

ثم دس يده فى جيبه وقال :

- « هل من أسئلة ؟ »

رفعت إحدى الفتيات يدها وبلهجة أمريكية سألته :

- « كيف يتم تمويل المشروع ؟ هل أنتم جهة حكومية ؟ »

قال فى (الأظلة) لا بأس بها وهو يدير عينيه فى وجوهنا :

- « أكثر تمويلنا من الجامعات .. ومن ESF .. وبعض

التنفعات يتم تدبيرها برحلات سياحية باهظة الثمن مثل هذه ! »

تعالّت ضحكات عصبية لا مبرر لها .. واضح أنها دعابة قوية فعلاً ..

قال أحد الواقفين ضاحكاً :

- « خمسمائة (كومون) عن الفرد .. هذا ليس مبلغاً زهيداً .. »

قال الرجل الذى يبدو أنه عسكرى :

- « أنا لا أحدد الأسعار .. لكن ما أعرفه حقاً هو أن كل من زارنا لم يشعر بعد الزيارة بأنه دفع أكثر من اللازم .. والآن هل هناك من يرغبون فى استكشاف الصحراء ؟ »

ارتفعت بعض الأيدي ، فرفعت أنا و (سلمى) أيدينا .. كنا فى حاجة إلى الفهم .. وعدم ترك فرص لهذه العملية ..

- « جميل .. هناك خمسون منكم .. سنحاول ترتيب الطائرات اللازمة .. »

★ ★ ★

فى المقصف انتظرنا فى طاور طويل حتى جاء دورنا .. كان الطعام الذى حملناه فى صينية هو نوع من اللحم الممهوك أو الممزق .. لا أعرف بالضبط .. مع كوب من الكولا الباردة وبعض البطاطس المحمرة ..

لم أتحمس كثيراً للحم لأننى لا أعرف نوعه .. ربما هم يأكلون الذئاب على العشاء فى هذا الكوكب ، والأدهى أن تكون ذئاباً مخنوقة كذلك !! لكن البطاطس كانت جيدة .. وعرفت أن (سلمى) أحببها كذلك ..

ترى كيف يبدو تنكرنا فى الضوء الساطع داخل المقصف ؟ لحسن الحظ أنه لا أحد ينظر إلى الآخر ..

بعد العشاء تجمعنا حول الطائرات الهليكوبتر ، وقد قسمونا إلى مجموعات ..

بدأت طائرتنا ترتفع .. ترتفع .. دورة حول المدينة التى لم تظهر معالمها بوضوح .. مجرد نقاط لا حصر لها من الأضواء .. ثم ننطلق فى السماء الشاسعة التى تملؤها ثقوب النجوم .. متى قرأت عن الثقوب فى السماء ، والبرق الذى يحاول أن يرفوها كأنه إبرة خياط ؟ متى كان هذا ؟ فى قصة أطفال ؟ ديوان شعر ؟ من المستحيل أن أتذكر الآن ..

ومن تحتنا بدت الصحراء الغامضة المسربلة فى السواد .. كأنها طلسم لا قبل لأحد بفتحه ..

(سلمى) جوارى .. تدنو منى أكثر وتهمس بالإنجليزية (على سبيل الاحتياط) :

— « هل تشعر به ؟ هل تحسه ؟ »

فألمس يدها .. ألثمها وأصمت .. الليل والصحراء والصمت
وهدير المحرك .. لا بد أن شيئاً تحرك فيها كما تحرك فى ..
ليس هذا وقته ، لكن العواطف كالعضلات تبحث عن لحظات
تستجمع فيها أنفاسها .. لا يمكن أن تكون الحياة كلها
تخطيطاً ومؤامرات ومحاولات للفهم والنجاة بالحياة .. لا بد
من لحظة ما يتقارب فيها رأسان يرمقان الليل ..

تقول لى :

- « منذ متى لم تقل إنك تحبنى ؟ »

فى الحقيقة لا أذكر أننى قلتها على الإطلاق - هل تذكر
أنت ؟ - لكنى أكذب فأقول :

- « منذ راح جهازك هذا يلقينا من حفرة لحفرة .. ومن
بركان لبركان .. لا بد من كوكب ما يصلح لالتقاط
الأنفاس .. »

- « لقد بدأت أعتقد أن عالمى هو أفضل العوالم
المحتملة .. »

الطائرة تحلق فوق تلال لا نعرف عددها ، ولا نهايتها ..

ثم ...

ظهر وميض نارى من على أحد التلال ...
وشهق البعض وصرخ البعض .. على حين صاح
الطيّار :
- « تماسكوا ! إن صاروخاً حراريّاً يتجه نحونا !! »

★ ★ ★

٧- الجولة ..

- « ياساتر يارب ! »

دوت الصيحة من (سلمى) وهى تتكور حول نفسها ..
لو أصابنا هذا الصاروخ الحرارى فلن نعرف هذا .. طريف أن
تتحول إلى فتات من اللحم المشوى تقضمه فتران الصحراء ،
بعد ثائية من كلامك عن الحب والعوالم المحتملة ..

فيما بعد سيكون لى أن ألقى بصدد من سمعوا (سلمى)
تصرخ بالعربية .. فيما بعد ..

الطيار يرتفع بحركة عصبية ، ثم يأتى بحركة مناورة
جعلتنا نرتطم ببعضنا .. والبطاطس المحمرة تصعد إلى
الحلوق .. لابد أنه يقوم برسم حرف Z الشهير الذى
يتفادون به الصواريخ الحرارية ..

ثم رأينا وميضاً إلى اليسار ، والتفتنا فرأينا انفجاراً فى
السماء يضىء المكان ..

- « استرخوا يا شباب .. لقد تفادينا !! »

قَالَهَا الطَّيْرُ ، فَتَصَاعَدَتْ شَهَقَاتِ الْإِرْتِيَاحِ ... وَبَكَتْ بَعْضُ
النِّسْوَةِ مِنْ فِرَطِ الْإِجْهَادِ الْعَصْبِيِّ ...

لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ جِزْءٌ مَدْبَرٌ مِنَ الْجَوْلَةِ
لِإِمْتِنَاعِنَا .. هُوَ حَقِيقِي .. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الصَّارُوخِ
يُنْتَمِي لـ (جَمَشِيدِ بْنِ عَبَّاسٍ) وَرِجَالِهِ ...

- « مِنْ (إِنْتَرِيْبِيد - ٣) إِلَى الْإِوْزَةِ الْأُمِّ .. مِنْ (إِنْتَرِيْبِيد - ٣)
إِلَى الْإِوْزَةِ الْأُمِّ .. صَارُوخٌ عِنْدَ (لُلْتَا إِكْس - ٢٨) .. حَوْلَ .. »
كَانَتْ هَذِهِ مِنَ الطَّيَارِ ظِيْعًا ..

وَبَعْدَ دَقَائِقَ ، أَشَارْنَا إِلَى الْأَفْقِ فِي نِعْمَةٍ انْتِصَارٍ ،
وَرَأَيْنَا ثَلَاثَ مَقَاتِلَاتٍ قَائِمَةٍ مِنْ بَعِيدٍ ..

هَتَفَ النَّاسُ وَلِحْثَدُوا يَتَزَاحَمُونَ لِيُرَوْا مَا سَيَحْدُثُ مِنَ
النَّوَافِذِ .. لَمْ تَفْعَلِ الْمَقَاتِلَتَانِ عَلَى الْجَانِبَيْنِ شَيْئًا ، لَكِنْ
الْوَسْطَى انْفَصَلَتْ لـ (تَتَعَامَلُ مَعَهُمْ) - كَمَا يَقُولُونَ فِي سِلَاحِ
الطَّيْرَانِ - وَالتَّعَامُلُ مَعَهُمْ يَعْنِي أَنَّهَا ارْتَفَعَتْ قَلِيلًا وَفِي
اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا انْطَلَقَ مِنْهَا صَارُوخٌ طَارَ لِيُضْرِبَ بِالضَّبِيطِ
النَّقْطَةَ الَّتِي هُوَ جَمْعُنَا مِنْهَا ..

وَهَوْبٌ ! لَا أَعْرِفُ نَوْعَ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الْعَجِيبَةِ ، لَكِنَّهَا تَشَبَّهُ
مَا رَأَيْتُهُ مِنْ قَبْلُ .. الْإِنْتِشَارُ عَلَى مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ .. اللَّهَبُ

الأخضر .. رأيت مرة ناراً تشتعل فى كيروسين ، وقد بدا
المشهد مماثلاً لهذا بالضبط ..

المهم أن الأفق تحول إلى نيران ، على حين حلقت
المقاتلات مبتعدة ..

وهلل الركاب .. وراحوا يلوحون مودعين ..

تبادلت نظرة مع (سلمى) .. على الأرجح لم يحدث شىء
للمهاجمين ، لأنهم - كما رأينا أمس - أطلقوا صاروخهم
وتواروا فى إحدى الفتحات ..

لبيتنا نفهم ما يحدث هنا ..

★ ★ ★

- « معذرة .. لكن اسميكما ليسا عندى على الإطلاق .. »

قالها الرقيب وهو يراجع الأسماء المكتوبة أمامه ..

كان على أن أتمادى فى التمثيل أكثر ، فصحت فى عصبية :

- « ونحن كنا نحسب أنه لا أخطاء تحدث فى جهاز بهذا
الحجم .. والآن قل لى .. هذا أنا أمامك وهذه زوجتى وقد
دفعنا ثمن هذه الجولة .. لا تتوقع منا أن ننام فى
الصحراء .. »

قال فى حرج وحزم عسكرى برغم هذا :

- « آسف .. لا أستطيع أن أقدم لكما خيمة .. »

رحت أضرب كفاً بكف ، على حين بدا الاشمزاز على
(سلمى) من (كل هذا الإهمال) .. فى النهاية جاء رجل
أرفع رتبة فرأى المشهد ، وسمع ما يقال فهتف :

- « (سميث) .. لتكن أكثر مرونة .. أعطهما استراحة
المقصف .. على مسئوليتى .. »

- « ولكن ... »

- « بقيت أربع ساعات على الصباح .. هذا لن يضر
أحدًا .. »

استسلم (سميث) الأحمق ، على حين قلت أنا فى تبجح
وأنا أصافح الأعلى رتبة :

- « أخيراً هناك شخص ذو عقل فى هذه القاعدة ..
حسبتهم لا يختارون إلا أمثال هذا الـ (سميث) .. »

لم يبد (سميث) سعيداً بكلامى ، ولا ألومه على هذا ..
إلا أنه اصطحبنا إلى غرفة ضيقة ملحقة بالمقصف .. هناك
فراش واحد ، وحالة الغرفة توحى بأنها كانت استراحة للبط

أو وشق الأستبس .. لكنه على الأقل موضع يسمح لك
بوضع أفقى ..

انغلق الباب علينا فقالت (سلمى) فى مرح :

« أنت ... »

« حذار ! بالإنجليزية وبصوت خفيض .. »

قالت بالإنجليزية :

« أنت ممثل بارع حقًا .. من يرك فى غضبك يقسم
على أنك صاحب حق .. »

« لدينا مثل يقول (الحقوهم بالصوت) ولا أعرف إن
كان فى أرضكم أنتم أيضًا .. إذا كنت أنت الطرف الخطأ
الذى لا حق له ، فعليك أن تكون الأعلى صوتًا والأكثر
صراخًا .. هذا يقنع الناس بعدالة قضيتك ! »

على كل حال .. لقد نمنا .. وكان نومنا عميقًا بالفعل ..

لولا الطرقات الحازمة على الباب فى الصباح تخبرنا أن
موعد الإفطار قد حان ..

★ ★ ★

فى الصبح بدأنا الجولة التى لانعرف أى شىء عن
كنهها ..

كان المكان ذا طابع عسكرى لاتخطنه العين ، لكن
الجميع كان يتظاهر بالمودة واللف ..

هذه المرة اقتادونا كالخراف الضالة إلى مبنى عملاق له
ذات الطابع المميز للمتاحف فى كل مكان .. وفوقه اللافتة
اللعيقة ESF التى تطاردنا فى كل صوب .. اصطفنا على
الباب ، ودنا منى رجل مسن يحمل زوجا من الكاميرات
وقال لى فى لهفة :

- « فيلم .. هل تعرف من أين أبتاع واحدا ؟ »

ثم رأى البطاقة على صدرى فهتف فى مرح :

- « ولايات شرق ؟ أنت ابن وطنى إذن !! »

يا للمصيبة !

عاد يسألنى وهو غير عازم على أن يخرس :

- « لطيفة زوجتك .. وإن كانت تشبهك كثيرا .. لا أقول

هذا بصيغة الذم ! هل أنت من (وارسو) ؟ لا بد أنك يهودى
مثلنى .. »

ثم قال عبارة ما بلغة لا أستبعد أنها البولندية .. فهزرت
رأسى وقلت الكلمة التى فتح الله على بها :

- « بوخارست » ..

أعتقد أن هذا أقرب إلى الحكمة .. مادمننا نتكلم عن
الشرق ، ومادام هو بولندياً فمن الحكمة أن أدعى
الرومانية .. هز رأسه فى أسى وحيانا وابتعد ..

على الباب اصطفنا كما قلت لك ، ثم ظهر رجل له ذات
السمت العسكرى ، وهتف :

- « سندخل فى مجموعات .. لا داعى لأن أذكركم بأن
اللمس ممنوع .. »

ثم أضاف :

- « لقد أنفق صندوق الأنواع المنقرضة الكثير على هذا
المتحف .. »

هنا بدأت أفهم .. (صندوق الأنواع المنقرضة) ..
أو Extinct Species Fund .. من هنا جاءت الـ ESF التى
تطاردنا فى كل مكان .. أعرف هذه المشروعات .. ما يوشك
على الانقراض مثل دب الكوالا والباتدا والنسر الأمريكى

الأصلع ، وما انقرض فعلاً مثل ذنب (تسمانيا) الذى لم يكن
ذنباً ولم يكن من (تسمانيا) ..

سمعت (سلمى) خواطرى (لا يوجد خطأ مطبعى هنا)
فقالت :

- « أنت مخطئ .. لا تنس أن هذه أرض العظايا .. لا بد
أن الموضوع يتعلق بالديناصورات .. »

صحيح .. نسيت هذا ..

طبعاً لا بد فى المدخل أن نجد ذات الهيكل المعهود للـ (تى
ركس) أو (Tyrannosaurus Rex) المحبب للأطفال .. لا بد
من آثار أقدام على الطين الذى تحول إلى حفريات .. لا بد من
نباتات متكلسة وعظام متحجرة لطائر (الإصبع المجنح)
المثير Pterodactyl ..

ووثب قلبى طرباً .. أنا أحب الديناصورات .. من الذى
لا يحبها ؟

وتقدمنا فى تودة إلى الداخل ..

كانت هناك خارطة كبيرة تحتل أهم موقع فى المكان ..
ثم رأينا عينات متكلسة لا تعرف كنهها .. لا توجد هياكل

للدیناصور لكن هناك هياكل عظمية آدمية واقفة وقد حفظت
فى واجهات عرض ..

ثمة قاعات جانبية فى إحداها جمل كامل محنط ..
لا أعرف .. هل انقرض الجمل فى هذا الزمن ؟

هناك ثياب عربية معلقة على مشابج .. وأجزاء من
خيام .. هناك قطع من تماثيل .. وأسلحة آلية صغيرة ..

هناك صور لمطربين نعرفهم .. ما معنى هذا ؟

قال المرشد وهو يتقدم الحشود الذين لا يكفون عن
التقاط الصور :

- « فى الداخل هناك نماذج حية .. سندخل ولكن بهدوء
من فضلكم .. إن الزحام قد يكون خطراً .. تذكروا أن هذه
العينات غالية جداً ونادرة جداً .. »

وفى هدوء مشى إلى ممر جانبى ، فمشينا وراءه ..

بالداخل كانت هناك نوافذ عرض .. وكان بداخلها ..
أشخاص .. أحياء ..

النوافذ عملاقة جداً مما يتيح أن يوجد بداخل بيت صغير ،
وأسرة كاملة مكونة من أب وزوجته وأولاده ينظرون لنا

فى خوف وتوجس وملل .. كانوا سود البشرة يبدو أنهم من إفريقيا ..

ثمة لافتة على الزجاج تقول: أوضح نموذج لـ Homo erectus .. تم العثور على هذه العينة فى (تنزانيا) ..

ألصقت (سلمى) وجهها بالزجاج وراحت ترتجف ..
رأها طفل أسود بالداخل فاقترب منها وقد غلبه الفضول
لكن أمه ركضت لتبعده ..

- « ممنوع لمس الزجاج يا آنسة ! »

قالها المرشد فى عصبية ، فابتعدنا ..

وفى واجهة أخرى كانت أسرة من الأستراليين
البدايين .. و...

هتفت (سلمى) بصوت محده ~ :

- « (سالم) .. هل فهمت ما هى العظام المنقرضة ؟ إتنا

لانتكلم نفس اللغة ! إن العظام هى نحن ! »

★ ★ ★

٨- فلنفر من هنا ..

كنا فى حالة نفسية بالغة السوء ، ونحن نتقدم إلى الطائرة .. طائرة كبيرة نوعاً هى التى رأيناها أمس رابضة فى المطار .. لأين ؟ (أبو العتاهية) قال إن موعدنا فى الليل ، ومازال الليل بعيداً ..

لقد ارتفعت الطائرة فى الهواء ، وبدأت تعلق باستمرار .. لحسن الحظ كانت هناك مقاعد خالية وإلا لافتضح أمرنا لدى الصعود .. هذه الرحلات ليست تامة العدد فيما يبدو .. ولم نتبادل الكلمات .. لم نفتح فمنا بكلمة واحدة ..

لأننا لو تكلمنا لانفجرنا فى شلال من الأسئلة والاحتجاجات والهستيريا ..

الليلة لو نجونا سنذهب إلى (جمشيد بن عباس) .. سنلقى بأنفسنا تحت قدميه نتوسل إليه أن يشرح لنا كل شيء .. لا تقل إن الحقيقة هى ما فهمناه نحن .. قل إننا غيبان .. قل إننا حماران .. قل أى شيء .. لكن من فضلك لا تقل ما نعرف الآن هو الحقيقة ..

- « يمكنكم أن تروا النيل لو نظرتُم إلى الجانب الأيمن .. »

كان هذا صوت المذيع أو الدليل أو الطيار ذاته ..

تصاعد الكثير من (الواو) و (الياى) ونظر الجميع من النوافذ اليمنى ، حتى شعرت بأن الطائرة تميل مهددة بالسقوط ..

- « انهضى .. »

قلتها له (سلمى) فى كآبة لأن منظرنا بدا غريباً الآن .. نهضنا ونظرنا من النوافذ وأطلقنا الكثير من الـ (واو) بدورنا ..

دوى صوت المذيع أو الدليل أو الطيار ذاته :

- « من الناحية اليمنى ترون الأهرام .. »

وتكرر المشهد من جديد بحماسة كبير ..

- « جوار الهرم الأكبر تجدون معبد (فيلة) و (الكرنك) .. »

ما هذا التخريف ؟ هل هذا من أنواع الخلط الشهيرة بين العوالم ؟ لكن لا .. ثمة شىء يقول لى إن هذا ليس خطأ ..

- « والآن ترون أجزاء من سد (مأرب) .. وأطلال (بتر) .. »

ثمة آثار قرطاجية بالغة الأهمية لو ... »

هنا لم تتحمل (سلمى) أكثر فهتفت :

- « لحظة .. أنت تجمع أقصى اليمين مع أقصى اليسار
فى مكان واحد .. هذه الآثار مقلدة طبعا ؟ »

لا أدرى كيف سمعها فقد دوى صوت المذيع أو الدليل
أو الطيار ذاته يقول :

- « بل هى أصلية طبعا .. هذا عملنا هنا فى ESF .. لقد
تمكننا من نقل هذه الآثار المهمة للحضارات الغابرة ،
وجمعناها كلها فى مكان واحد .. هذا يسهل زيارتها
وصيانتها ويحميها من التلف .. »

الآن نرى بقايا من الحضارة الآشورية .. وبعض بقايا
الرومان فى ليبيا ..

- « يمكن القول إننا استبقينا بعض الأجناس بهدف
علمى بحث .. لكن خطتنا مستمرة لجعل كل شىء تحت
السيطرة .. »

أخيرا انتهت الجولة ، فبدأت الطائرة تدور بالعكس لنرى
نفس المعالم من جديد ..

بعد ساعة أو أقل كانت الطائرة تتحدر لتهبط فى المطار ..

وترجلنا أنا و(سلمى) شاعرين بحاجة ماسة إلى العثور
على مكان نستجمع فيه خواطرنا .. مكان بلا بشر ..
وقف أحد العسكريين على باب الطائرة وهتف فى مكبر
الصوت :

- « هناك وجبة عشاء جاهزة لكم ، بعدها جولة حرة قبل
ركوب الطائرة الـ (شارتر) للعودة .. »

كانت الحماسة قد بلغت بالقوم مبلغها ، وراحوا يلتقطون
الصور لكل شيء .. لاحظت أن هناك شعبية كبرى للرمال ..
الكل حريص على أن يحتفظ ببعضها فى كيس ..
ثم جاء وقت العشاء ..

تناولناه فى شرود ، بعدها وقفنا فى المطار بينما الطائرة
الضخمة التى سترحل بهؤلاء تدور ببطء على الأرض ،
وصخب للمحركات يصم الآذان .. يبدو أن تزويدها بالوقود
قد تمَّ ..

إن فتحة السور هناك .. لو وجدنا اللحظة المناسبة
لتسللنا إلى هناك ورفعنا السلك و...

فوجئت بالعجوز البولندى الثرثار إياه يقترب منا ومعه

فتاة .. فتاة من طراز أبيض الشعر أحمر الجلد رمادى
العينين ، حتى لتشعر بأنها سلبية صورة تمشى على
قدمين ..

قال لى بالإنجليزية :

- « معذرة .. أنت (بوخارست) .. هه ؟ »

قلت باسمًا فى عصبية :

- « وأنت (وارسو) !! »

رفع يد الفتاة وقال :

- « هذه (ناديا) من (بوخارست) هى الأخرى ! كانت

تبحث عن رفقة فقلت لها إن مواطينها هنا ! »

توارى الكون كله خلف غشاوة بينما الفتاة تضحك فى
مودة ، وتنطلق فى حديث بالرومانية جدير بأن يخرج من
فم الكونت دراكيولا نفسه ..

نظرت لـ (سلمى) ونظرت للفتاة ثم هزرت رأسى بمعنى
أننى لا أفهم .. إشارة غبية جدًا لا معنى لها .. ربما لو كنت
أثبت جنائياً لاتهمت الفتاة بأنها نصابة وأن ما تتكلمه ليس
الرومانية ..

وقف رقيب ما على باب الطائرة وصاح :

— « فليركب الجميع .. »

تأهب الجميع للصعود ، لكنى سمعت صوتاً يقول :

— « لحظة !! ثمة نقطة لابد من استيضاحها .. »

نظر الجميع لمصدر الصوت .. كان هذا هو العجوز
البولندى اليهودى ..

قال فى حماسة ضاغطة على كلماته :

— « هذان الشابان .. لا أستريح لهما على الإطلاق ..
يزعمان أنهما رومانيان وهما لا يعرفان حرفاً من
الرومانية .. وأكاد أقسم إنهما لم يكونا معنا فى الطائرة
عندما جننا ! »

صاح صائح :

— « بالفعل .. لم نرهما قط .. »

هنا - كما فى الكوابيس - ظهر الجندى (سميث) الذى
تساجرت معه البارحة .. تدخل فى الكلام قائلاً :

— « بالفعل .. هذان لم يكن اسمهما فى الأوراق !! نحن
لا نرتكب أخطاء .. لا تسقط منا أية أسماء سهواً .. »

وهتفت عجوز شمطاء أخرى :

« الفتاة كانت معنا أمس في الطائرة العمودية .. وصاحت حين رأت الصاروخ بعبرة لم أسمعها من قبل بأية لغة !! »
هنا أدركت أننا وقعنا في الشرك ..

لكن الشرك لن يكون السجن هذه المرة .. أنا أعرف ما يحدث لمن يقع في يد الجماهير الغاضبة ..

كان الجميع ينظر لنا الآن .. حوالى مائتى سائح متحمس ،
ومعهم عدد من رجال القاعدة أو المدينة .. لو كان الجهاز
معنا الآن ! هذا وقت مناسب جداً لضغط الأزرار ..

بالفعل راحت أناملنى تضغط على زر وهمى فوق قماش
سروالى ..

★ ★ ★

فى اللحظة التالية حدث ما يمكن أن تسميه (أسلوب
جريفث) فى الإلقاء على اللحظة الأخيرة ..

لقد دوى انفجار مرووح فى مكان ما من المطار .. وفى
اللحظة التالية كانت سحابة كثيفة من الدخان تغلف الجميع ،
وتفرق الناس فى رعب .. وتعالى عبارات (التجدة)
و Help و Secours و ---

هنا شعرت بيد قاسية عنيفة كالمنجل تطبق على معصمي
وسط الدخان ..

حدث الشيء ذاته مع (سلمى) على ما يبدو .. وشعرت بأننا
تجر كالخراف إلى السور وأخيراً وجدت الفتحة فاجتزتها ..
- « تمرغاً ! بسرعة أيها الأحمق لن قبل أن ينقشع الدخان ! »

كان هذا سهلاً لأن هناك منحدرًا ، وسرعان ماراح
جسدانا يدوران فوق الرمال كأننا حزمة من الصبار
الجاف .. ومعنا حزمة ثالثة بدأت أفهم أنها أبو العتاهية ..
أخيراً وجدنا أننا نرقد فوق الرمال التي يبللها السواد
والندى ..

لا بد أن تأثير اختفائنا كان درامياً بالنسبة لهؤلاء القوم
بمجرد أن زال الدخان ...
قال (أبو العتاهية) :

- « أعددت قبيلة دخان لاستعمالها لو ساءت الأمور ..
ويبدو أنني كنت حويطاً في هذا .. ما كانوا سيستفيدون : كما
بالفرار مهما حدث .. »

ثم هتف وهو ينهض :

- « ننتقل الآن هناك فجوة كهف قريبة .. يجب أن نتواري

قبل أن تأتي الطائرات العمودية .. للأسف افتضح أمر هذه
الفجوة فى السلك .. »

رحنا نركض بين الرمال حتى بلغنا فتحة من تلك الفتحات
المعالجة بغاية .. يزيل الرمال المعجونة .. ينزع الورقة المقواة ..
ثم ندخل .. الخطر فى الدخول هو أنه مهما حاولت من
الداخل ، فإن الفتحة تظل واضحة للعيان منتهكة .. بينما
الفتحات التى تعالج من الخارج يستحيل اكتشافها ..

أخيرًا جلسنا فى الكهف المظلم ، فأشعل مشعلًا ما جعل
الأمور أفضل ..

قال لى باسمًا :

- « فقدت شعرك المستعار يا صاح .. »

قلت له منهكًا :

- « لهذا خير من أن أفقد إحدى عيني .. »

بعد تفكير قالت (سلمى) :

- « لدينا عشرات الأسئلة .. »

قال وهو يضع بندقيته الآلية جانبًا :

- « نحن لدينا مئات الأسئلة لكننا لن نتكلم عن شيء

إلا أمام (جمشيد بن عباس) .. »

للمرة الأولى أظهرت (سلمى) جهلها بقواعد هذا العالم
وكانت عامدة :

- « هل هذا اسمه الحقيقي أم الحركى ؟ »

نظر لها فى حيرة ، ثم قال بصدق :

- « اسمه الحقيقي طبعاً .. (جمشيد بن عباس بن محمود) ..
نحاول أن نبقى أسماء جدودنا حية ساخنة .. إن ابنى اسمه
(فرناس) .. لهذا صار محتماً أن يكون لسم ابنه - لو رزقه
الله بابن - هو (العباس بن فرناس) .. »

قلت لـ (سلمى) مفسراً :

- « رائد حلم الطيران .. »

هزّت رأسها فى غيظ :

- « أعرف .. بالله العظيم أعرف .. لدينا واحد منه كذلك .. »

وأطبقتا شفاهنا على الكلمات .. وأخذنا لصمت طويل
اختلط بلحظات نوم عميق ..

★ ★ ★

9 - كيف بدأ كل شيء ..

- « الحقيقة يا (جمشيد) أننا لسنا من هذا الكوكب على الإطلاق .. لا أعرف إن كنت تصدق هذا أم تكذبه ، لكننا لا نطلب منك التصديق أو التكذيب ، ولا نبالي برأيك .. فقط نريد فهم ما يدور هنا .. »

(جمشيد) جالسا على ترمز . يجدل سنة صغيرة .
وقد جنس حوله طفلان ..

المكان كان واحة صغيرة .. لا .. لا أجسر على أن اسميها
واحة .. لنقل إنها بئر جواره ثلاثة أكواخ من الشعر .. ثمّة
نساء هنا وأطفال ، وبضع أشجار النخيل ..

لم يبد عليه أنه سمع ما نقول .. فقط واصل جدل السلة ،
وعيناه العجوزان المنهمكتان تحاولان قدر الإمكان أن تريا
ما تقومون به .. ثمّة نظارة ذات إطار من السلك مثبتة على
أنفه ومن الجلى أنها لا تقدم له الكثير ..

الحقيقة أنني لم أفهم قط السر الذي جعل هذا المكان آمنا
بالتسبة لطيران قادر على الوصول إلى أى مكان .. ثم فهمت

أنه من الأماكن المختارة للجولات السياحية الطائرة .. لا أحد يهاجمه لأنه مكان محبوب للسياح ..

من الواضح أن ما يعرفه هؤلاء القوم في ESF هو أن هذه الواحة تضم بدوياً مسالماً وزوجتيه وبعض الأطفال .. لكن الحقيقة كانت أنها ملتقى محبوب لرجال المقاومة .. (جمشيد) ورجاله ..

كذلك لا يمكن الآن الجدل في حقيقة أن (جمشيد) هو الحاكم الفعلي لهذا العالم السفلي المتشابك الرهيب .. إنه عقل على جسد ليس واهناً تماماً بينما رجاله عضلات .. لكن ما يضايقني الآن هو أن الرجل لا ينصت لنا علم الإطلاق ..

قلت له بعد قليل :

.. « (جمشيد) .. هل تسمعي ؟ »

قال دون أن ينظر لي :

.. « كلمات .. كلمات .. سمعنا منها الكثير فلم أعد أبالي بها ..

ما الفارق بين أن تكون من هنا أو هناك ؟ ما المطلوب مني بالضبط ؟ »

وهو ما يقول بوضوح إنه لا يصدق حرفاً : نحن مجنونان
أو عميلان .. وهو يميل إلى الرأي الأول لأن الجاسوس لا يكون
بهذه الحمافة ..

قلت له :

- « النقطة الأولى هي جهازنا .. الجهاز الذى أخذوه منا فى
القاعدة الأولى .. من أخذه طبيب يدعى (ستارسكى) .. »
- « أعرفه .. »

- « النقطة الثانية هي ما معنى هذا الذى يحدث ؟؟ سواء
صدقنا أم لم نصدق ، فنحن لانعرف البتة كيف حدث هذا ،
ولامتى وضع الهرم جوار آثار (بتر) .. من هم العظايا ؟
من هؤلاء الناس ؟ »

قال وهو ينزع النظارة :

- « سأحكى كل شىء .. ربما لأذكر نفسى ، سأسألكما
أسئلة كثيرة بعد ما تنتهى قصتى .. »

★ ★ ★

قال (جمشيد) وهو يرشف القهوة العربية :

- « إنهم يحاولون إبادةنا بالكامل .. بعدما انتصروا علينا

وسادوا البر والبحر والسماء ، يحاولون أن يزيلونا من على
وجه الأرض ..

- « فيما مضى كان هناك عالمان .. عالم الشرق وعالم
الغرب .. هذا قديم جدًا .. وكان التناقض بين العالمين قويًا
جدًا برغم المحاولات العديدة لتقريبها ، لكن الغربيين كانوا
يؤمنون بأن العالمين لن يلتقيا .. وقديماً قال أحد أدبائهم إن
الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبداً .. »

كان يتكلم عن (رديار كيبلنج RUDYARD KIPLING) ..
لديهم واحد منه هنا إذن ..

واصل (جمشيد) الكلام :

- « كانت هناك شعوب عدة في الشرق .. العرب .. الهنود ..
بالإضافة إلى بعض الشعوب الصغيرة مثل تلك الموجودة في
قلب إفريقيا وأجزاء من أستراليا .. وكان الصدام الحضارى
قاسياً وصل درجة الحروب في أوقات ما .. المشكلة بالنسبة
لنا العرب هي أن ثرواتنا كانت عظيمة . ولم يكن الغرب
ليستطيع تكوين صناعة ناجحة من دون الاعتماد علينا ..
كما أن بعض دولنا - مثل مصر - تميز بموقع جغرافى غير
عادى يحتم السيطرة عليه ..

« (بونابرت) الغازى الشهير قال (إن مصر أهم بلد فى العالم) .. وكان يعنى بهذا أن من يسيطر على مصر يسيطر على العالم .. كما كانت هناك دول بالغة الأهمية .. مثل الصومال التى تشكل نقطة حكمة على ساحل إفريقيا وعلى الخليج الهندى ..
« كانوا أنكياء بارعين .. وقد طوروا علومهم بحيث استطاعوا السيطرة علينا .. كانوا يأخذون منا الثروات ليصنعوها ، ثم يبيعوها لنا بسعر باهظ .. وكان اعتمادنا عليهم كلياً ..

« النقطة الثانية هى أنهم استطاعوا أن يزيلوا الخلافات بينهم .. ثم يهودوا شتى .. بل كونوا جيشاً موحداً .. وصارت لهم تجارة واحدة واقتصاد واحد ..
قالت (سلمى) فى حماسة :

- « نفس الشيء حدث فى عالمى .. لكن العرب هم من صنع هذا .. »

لم يهتم الرجل بملحوظتها وواصل الكلام :

- « صارت هناك الولايات الشرقية فى شرق أوروبا .. والولايات الوسطى فى غرب أوروبا ووسطها .. ثم الولايات الغربية عبر المحيط .. هذه الدولة الكبرى ذات الموارد غير المحدودة اسمها (إمبريا) ..

« لكننا فى زمن التكتلات هذا ازدادت خلافاتنا ومشاكلنا ..
كلما تقاربوا هم تباعدنا نحن .. تكالبنا على مصالحنا الشخصية
الضيقة .. غرقنا فى الشعرات والشعر .. ومن حين لآخر يقول
قائل : فلنكف عن الخطب .. حان وقت العمل .. ثم تتحول كلماته
هذه إلى خطبة جديدة .. ولم نستطع الإتفاق على شىء واحد
حتى كدنا نختلف حول ما إذا كنا فى النهار أم الليل .. والنتيجة
هى إننا تلاشينا .. فجأة لم نعد قوة لها حساب .. وصاروا
قادرين على أن يعملوا بنا ما يريدون .. بدعوا بالبلد (أ) وقالوا
إن هذا لمصلحتنا .. فتأسينا الأمر .. ثم انتقلوا إلى البلد (ج)
زاعمين أن هذا ضرورى .. ثم جاء دور البلد (د) .. أنتم
تعرفون قصة الثيران الثلاثة الشهيرة التى (أكلت يوم أكل
الثور الأبيض) .. الآن لم يبق منا إلا بلد واحد على الساحل
الغربى لشمال إفريقيا .. وهم لا ينوون تضييع الوقت .. إن
دوره قادم حتمًا ..

- « المشكلة الأخطر هى أن ثرواتنا قُتِيت .. نفدت .. وهكذا
انصرفوا عنا .. حتى الاحتلال حمل عصاه ورحل تاركًا بعض
المصكرات المنتشرة .. فى الماضى كانوا يصدرون لنا الطائرات
والسيارات والأجهزة الإلكترونية .. أما الآن فلم يعد لدينا
ما نعطيه .. بالتالى لم يعد لديهم ما يقدمون .. وبالتدرج لم

يعد لدينا دواء ولا كساء ولا أى شيء .. يسهل تصور هذا
إذا تذكرت أنهم يصنعون القلم الرصاص ذاته ..

« هنا وجد هؤلاء القوم أنفسهم فى مشكلة .. إن الشعوب
التي نفدت ثرواتها أو لم تعد لها أهمية ما ، تشكل خطراً
دائماً .. إنها غاضبة جوعى والجائع الغاضب يفعل أى شيء ..

« لم يكن الغربيون ممن يهتمون بالحياة البشرية إلى
هذا الحد .. إن إبادة الهنود الحمر بالرصاص أو التجويع أو
حتى البطاطين الملوثة بالجدرى لأمر لا ينكره التاريخ ..
وقد جاء الدور علينا .. لا بد من استئصال الشعوب التي لم
يعد لها أهمية ..

« استغرقت حملات الإبادة مائة عام .. والنتيجة هى أننا
كدنا نزول بالفعل .. هنا يبرز الجانب الإنسانى المناقق لهؤلاء
القوم .. إنهم يبيدوننا بيد ويقدمون لنا العون بيد أخرى ..
ليس الغرض هو الحفاظ على أرواحنا ولكن الحفاظ على
جزء مهم من تاريخ هذه الأرض .. نحن كنز ثقافى علمى
لا بد من إبقائه ..

« وهكذا تكونت الـ ESF وهى هيئة علمية شبه عسكرية ،
تعمل على الحفاظ على ما تبقى من آثار تلك الشعوب التي
بادت أو كادت .. ثمة متحف - زرماء أمس - يضم مابقى

من عينات بشرية حية أو ميتة .. هياكل .. أدوات كنا
نستعملها .. إلخ .. وهم يجمعون أى عظام فى الصحراء
باعتبارها كنزاً ثميناً يزداد قيمة يوماً بعد يوم ..

« قاموا بجمع كل الآثار فى مكان واحد كما رأيتما لتسهيل
زيارتها وصيانتها .. وهم يطلقون لفظة (العظايا) على كل شىء
يحاولون الحفاظ عليه .. بدءاً بعظام الديناصور وانتهاء
بعظامنا نحن .. »

ابتلعت ريقى وقلت :

- « إن كلامك مخيف .. والآن أعرف الاختلاف بين
الكوكبين .. ليس جوهرياً .. إنه اختلاف زمنى لا أكثر ! فقط
أنتم تسبقوننا فى الأعوام ! »

سألته (سلمى) :

- « وأنتم ؟ ماذا تفعلون ؟ »

قال منهما :

- « نحاول ما يفعله أى كائن آخر وما فعله الهنود من
قبل .. نحاول أن نبقى .. أن نحافظ على حضارتنا .. نقاومهم ..
نقاومهم بشراسة لكننا فى الحقيقة لانحدث أكثر من بعض
الخدوش فى الدبابة .. »

« نحاول التّشبّث بهويّتنا .. نحافظ على ديننا .. نحافظ على لغتنا .. على أسمائنا .. كل واحد منا يحمل اسم علم من أعلام العرب .. هكذا لانسأهم أبداً .. لاحظت أن طعامنا غارق في التّقاليد العربيّة .. حتّى الأغاني لانسمعها للمتعة ولكن لأنها تجعلنا على خطوط اتصال مفتوحة بماضيّنا .. نتناسل .. نعلم أطفالنا .. »

سألته (سلمى) :

- « هل تعتقد أنهم سينجحون فى إبادتكم ؟ »

- « لا أتساءل .. لقد نجحوا فعلاً !! فقط آخر معقل لنا هو ذلك القطاع فى شمال إفريقيا .. ومن الواضح أن اجتياحه قادم .. لسوف يبقى عشرات منا يمثلون ما يمثلّه الهنود فى أمريكا الشماليّة .. مجرد أثر أنثروبولوجى عالى القيمة .. ولربما يظهر بعضهم فى السينما من حين لآخر فى أدوار السحرة الهنود الذين يعرفون الأسرار كلها ! »

قلت فى غيظ :

- « هذا مهين حقاً يا (جمشيد) .. توضعون فى المتحف وتنظم الزيارات لرؤيتكم .. »

قال ببساطة :

- « من أنكر هذا ؟ لاجابة بك إلى أن تخبرنى .. لكذلك
ترائى أقاتل ولسوف أموت وأنا أحمل بندقيتى .. »

- « هذا غير كاف .. الهنود كانوا من أبسل الشعوب
وأشجعها .. وليس منهم من لم يموت وهو يقاتل .. لكنهم
انقرضوا برغم هذا .. »

ابتسم فى قسوة لأنه وجد ساذجاً يهذى ، وقال :

- « إذن قل لى ما أفعله ولسوف أكون شاكراً .. »

قالت (سلمى) :

- « يتكلم عن السلاح طبعاً .. ما هى حالة تسليحكم ؟ »
لوح بالبندقية وقال باسمًا :

- « هذا .. وبعض المتفجرات .. بعض الصواريخ الحرارية ..
لا يوجد الكثير .. »

- « نغنى الأسلحة المحترمة .. ما هو وضعكم النووى ؟ »

ارتجفت للفكرة ، لكننى نظرت لها وقلت فى استخفاف :

- « ماذا تتوقعين ؟ هذه الأشياء تحتاج إلى قدر هائل من
العلم والمال .. »

قال (جمشيد) فى جدية :

- « كما تقول .. لكن هناك كذلك القنبلة الأيونية ، وهى لا تقل خطراً عن النووية .. هناك عالم باكستانى استطاع أن يصنع قنبلة أيونية خفيفة الوزن رخيصة الثمن ، وبحث كثيراً عمن يموله لكن الجميع خشى الكلفة أو المسؤولية .. الرجل الآن ضائع ولا يعرف أحد مكانه .. »

ثم لعق شفته السفلى الجافة وغمغم :

- « رحمه الله إن كان ميتاً .. اسمه كان (إسماعيل خان) .. »

هتفت (سلمى) وهى تنب على قدميها :

- (إسماعيل خان) لقد كان سجيناً فى المعسكر الأول .. »

★ ★ ★

10 - عملية ليلى ..

قلت فى ملل :

- « أعتقد أن كل الباكستانيين اسمهم (حشمت خان) أو (إسماعيل خان) .. هذا لا يضيف شيئاً .. »

لكن (جمشيد) كان مهتماً بالأمر .. قال لنا فى جدية :

- « على قدر علمى لا يوجد فى المنطقة إلا هذا الـ (إسماعيل خان) .. »

جلس للمرة الأولى تتفحص عيناه القويتان وجوهنا .. سألنا عن كل التفاصيل .. كان يعرف المعسكر جيداً ، ولكنه يجهل كل شىء عمن فيه .. كانوا يطلقون عليه (مجزر ستارسكى) .. و(ستارسكى) هذا هو مدير المشروع والمسئول عنه بالكامل ..

ومن جديد عاد يسألنا عن تفاصيل زيارتنا السياحية إياها .. فلما انتهينا من سرد قصتنا ، قال لنا وهو ينهض :

- «ستظفران بقسط من الراحة .. إن هذا الخبر أهم شىء سمعته منذ سنين .. (إسماعيل خان) حى .. »

دخلنا إلى أحد الأكواخ حيث مارسنا تلك المتعة
العظمى : خلع الحذاء .. وجاءتنا امرأة بجرة مليئة بالماء
كى تغسل وجوهنا ونشرب .. ثم جلبت جرة بها لبن بارد ..
لا بد أنه لبن ماعز ..

قلت لـ (سلمى) وأنا أرقد على الأرض التى غطتها
بعض الجلود :

« لا أعرف ما هى تلك القنبلة الأيونية .. »

قالت فى ثقة وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها :

« موجودة فى عالمى .. إنها شديدة الفتك .. »

قلت لها فى ضيق :

« أنا أكره الدمار أينما كان .. وعلى قدر علمى لم

يمتلك إنسان سلاحاً إلا وجربه .. لقد كانت الحرب العالمية

قد انتهت تقريباً لكن الأمريكان وجدوا أن (أوبنهايمر

OPPENHEIMER) اخترع القنبلة الذرية فعلاً .. هكذا كان

الإغراء أكبر من أن يرفض .. »

« تعنى أنهم ألقوها على اليابان لمجرد أنهم يستطيعون ؟ »

« هذه هى الحقيقة .. »

شردت (سلمى) وابتمست بزاوية فمها اليسرى قائلة :

- « على قدر علمى لا يوجد طريقة لحفظ السلام إلا أن تملك ما يملكه خصمك .. فيما عدا هذا لا توجد أسس للسلام .. لقد عرف العرب فى عالمى هذا الدرس مبكراً وطبقوه بعناية .. إن هذا هو توازن الرعب .. لا أعرف إن كان عندكم هذا المصطلح أم لا .. لو امتلك العرب هنا قنبلة أيونية فإتهم بسطيعون الحفاظ على حضارتهم العريقة من الانقراض .. »

ثم أضافت وهى تعتصر قبضتها :

- « ثم أى شىء يمكن أن يصمد أمام هذه المهاتة ؟ رحلات سياحية وعروض فى نوافذ عرض ؟ اسم المشروع نفسه مهين (صندوق الأنواع المنقرضة) .. هل تقبل لنا أن نتحول إلى نوع ؟ »

الحقيقة أن كلامها لم يخل من منطق .. وتذكرت الاسم الذى اختاره (بن جوريون) فى عالمى لمشروع القنبلة الذرية الإسرائيلية : ميكرع هاكل .. عبارة عبرية معناها (قبل أن يضيع كل شىء) !

لو كان الهنود الحمر يملكون مدافع وديناميت وجيوشاً منظمة

لظلوا أحياء .. ولربما طردوا الغزاة الأوروبيين كذلك .. لقد
صدقوا مقولة (إن الشجاعة تكفى) .. لكنهم لم يعرفوا أن
(التكنولوجيا تقهر الشجاعة) ..

قلت وأنا أغمض عيني :

- « أرجو فقط أن يكون هدف هؤلاء هو التهديد لا أكثر .. »

★ ★ ★

فى المساء رأيناهم ..

كانوا عشرة من الرجال الأشداء كاملى التسليح .. لقد لفوا
الكوفيات ملتئمين وجوههم فبدوا شديدى المراس مرعبين ..
وكانوا يرسمون على الرمال خطة كاملة لعملية الليلة ..

قلت لهم وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى :

- « هل أتى معكم ؟ »

قال (سلمان) وهو ينظر لى فى ثبات :

- « لا يا أخى .. فانت خائف .. »

كيف عرف هذا ؟ بالطبع لو كان هو أنا .. لابد أنه يعرف
ما أشعر به .. هو كذلك خائف لكن للضرورة أحكامها ..

ودت لو بقى فترة أطول لأسأله عما إذا كان يحب القطط الصغيرة وقراءة الصحف فى الحمام ومصاب بالقرحة .. طبعاً لا مجال لأسئلة سخيفة كهذه فى هذا الوسط الذكى القاسى شديد الخشونة .. لا بد أنه لم ير جريدة ولا حماماً قط ..

وقال (جمشيد) الذى وقف وسط الرجال :

- « مهمتهم خطيرة ووصفك للمكان دقيق .. إن ذهابك معهم سيعوقهم .. »

ثم نظر لهم نظرة ذات معنى وقال :

- أتوقع ألا يعود منهم إلا ثلاثة لو كانوا مجدودى الحظ .. لهذا أطلب منهم الاستعداد للشهادة من الآن .. لقد أبلغنا أسركم بأنكم قضيتم نحكمم ظهر اليوم .. »

دنوت منه فى خجل وقلت :

- « ثمة شىء آخر يهمنى .. (ستارسكى) هذا .. إن معه جهازاً فى حجم قبضة اليد .. جهازاً يشبه الآلة الحاسبة لو رأيتم واحدة .. آلة حاسبة عليها حروف وأرقام عربية .. هذا الجهاز هو مفتاح عودتنا إلى عالمنا .. لا أعرف إن كنت تصدق أم لا .. أعرف أنك لا تصدق .. كنى راغب فعلاً فى استرداد هذا الجهاز سليماً ... »

نظر إلى الرجال وقال :

- « سمعتم ما قال .. لا داعى للشرح .. لكنى أرجو أن
تحاولوا استرداد هذا الجهاز .. لو اضطررتم إلى تهديد
(ستارسكى) فلا بأس .. »

ثم نظر لى وسألنى :

- « كيف تقول (الجهاز الصغير) بالإنجليزية ؟ »

قلت فى ارتباك :

- « ديفاييس .. أو فلنقل .. سمول أباريتص .. »

- « ليكن .. لا تنسوا هذه العبارة .. سمول أباريتص .. »

ثم لوح بقبضته وهتف :

- « أريد الباكستانى .. أقسموا على أن تأتوا به لى .. »

أقسم الرجال وتعاثقوا مع (جمشيد) .. حتى أنا نالنى
عناق أو اثنان يرغم أنه لا دور لى فى هذه القصة ..

ثم إن الصحراء المظلمة ابتلعت الرجال ..

قال (جمشيد) وهو يجلس :

- « لن يعود من تبقى منهم إلا فى الصباح .. لنشرب

بعض القهوة ثم نخلد إلى النوم .. »

★ ★ ★

لكن النوم مستحيل فى ليلة كهذه ..

الشعور بأنك مسئول عن حياة هؤلاء الرجال ، وأنتك ربما كنت مخطئاً .. الشعور بأن كل هذا مستحيل .. لقد فررنا بنوع من السهولة من المعسكر فى المرة السابقة ولكن هذا لأنهم تصرفوا معنا بإهمال .. لكن ماذا عن إهمالهم الآن ؟

ورحلت أشق بعينى المسافات ..

أرى الرجال يتسللون على المعسكر ..

يقطعون السلك الكهربى الذى يتصل بالسياح ، ثم يقطعون السلك الشانك نفسه .. يزحفون على البطون إلى الداخل .. ثمة حارس يقابلهم فيلتحمون معه بالسلاح الأبيض ..

يفتشون بين الغرف .. يلتحمون مع حراس آخرين .. الآن لم تعد هناك حاجة للسلاح الأبيض لأن بعض الطلقات انطلقت بالفعل ، ودوت صفارات إنذار ..

الآن صارت العملية أكثر قسوة .. وبدأت الطلقات تدوى .. ثم أخيراً يدخل أحدهم السجن فيجد الشكل القابع فى الظلام .. يطلق الرصاص على الفقل ليخرجه ..

مزيد من الطلقات ..

(ستارسكى) يغادر مكتبه فيجد فوهة بندقية تلتصق
بصدغه .. يعود إلى المكتب صاحب اللون عاجزاً عن
الكلام .. لقد فعل الكثير بالعرب من قبل ، ولو كان من
يهوده الآن يعرف هذا لانتهى أمره ..

لكن من يقتاده إلى المكتب يسأله بلغة إنجليزية فظيعة :

— «سمول .. سمول أباريتص .. أباريتص .. سمول ..»

يفرغ كل أدراج مكتبه من أى (أباريتص) .. يضعها
على المنضدة وعيناه لا تفارقان الفوهة .. يبحث المهاجم
بين الأجهزة ثم يلتقط ذلك الجهاز الذى وجده مع الغربيين
فى الصحراء .. يدسه فى جيبه .. ينظر له .. ثم يغادر
المكتب ..

يجلس (ستارسكى) يجفف عرقه غير مصدق .. لو عرف
الأحمق أنه أضاع أكبر فرصة للانتقام فى التاريخ .. الحقيقة
أن (ستارسكى) أجرى على العرب تجارب تفوق ما كان
(يوسف منجیل) الرهيب قد أجراه على اليهود .. تفوقها
عدداً وتنوعاً .. لكن فى هذا العالم .. كما فى أى مكان آخر —
يوجد ثمن للدم اليهودى بينما لا ثمن لأى دم آخر ..

الحقيقة هنا أن هؤلاء الرجال لم يتلقوا تعليمات بقتل
(ستارسكى) إلا لو قاوم ..

المهاجمون يغادرون المعسكر وهم يطلقون النيران ..
تنفجر طائرتان عموديتان كان الكل يعتمد عليهما فى
مطاردة الهاربين عبر الصحراء ..

هناك من سقطوا من المهاجمين .. لكنهم جثث هامة ..
لا يمكن استجوابهم ..

واحد فقط وثب على مجموعة من الحراس .. ثم دوى انفجار
مريع وتناثرت الشظايا فى كل صوب .. لقد لغم نفسه ..
حقاً لم أستطع النوم وأنا أحلم بهذا كله ..

نظرت إلى (سلمى) فوجدتها تنعم بنوم هادئ ..
غادرت الخيمة وخرجت إلى العراء ..

كان (جمشيد) يجلس أمام جهاز صغير .. دنوت أكثر
فوجدت أنه جهاز تلفزيون .. أقدم جهاز رأيته فى حياتى ،
وعلى شاشته كانت أسوأ صورة رأيتها فى حياتى .. المتكلم
لا يكمل جملة واحدة من دون أن تتلاشى الصورة إلى
ذرات . من ثم يقوم (جمشيد) بتحريك الجهاز أو لفه .. بعد
قليل تتحول الذرات إلى متكلم ..

كان الجهاز يعمل بالبطاريات الجافة .. ورأيت أن سلكاً
يخرج منه علقه (جمشيد) إلى أقرب نخلة ..

جلست جواره وغمغمت :

- « تلفزيون .. لم أعرف أن عندكم واحداً .. »

- « الأخير .. يساعدنا فى معرفة ما يدور هناك .. لكننا
لا نعرف أية لغة أجنبية ، لهذا نشاهد الصور فقط .. »

- « من عرف لغة قوم أمن شرهم .. »

- « هذا حق .. لكن لا يوجد معلمون هنا كما ترى .. هل
تقبل تعليمنا ؟ »

كنت لا أرب ولا أتمنى أن أظل هنا إلى هذا الحد ، لكنها
فكرة لا بأس بها .. من المفيد أن تعلم هؤلاء القوم شيئاً ..
إنهم عرب برغم أنهم على كوكب آخر فى مجرة أخرى !

أضاف فى شىء من الفخر :

- « لدينا كذلك كاميرا وشريط فيديو .. لم نستعمل هذين
قط لكنهما قد يصلحان يوماً .. »

على الشاشة كان هناك مجموعة من السادة يبدو عليهم
الهمّ مع الكثير من الجدية ..

قلت لـ (جمشيد) :

- « إنهم قلقون بصدد وجود مجموعات إرهابية فى المنطقة
الغربية من الشمال الإفريقى .. »

قال ضاحكاً :

- «هم دائماً قلقون .. منذ مائة عام وهم قلقون .. أحرقوا أطفالنا وقرانا ومساجدنا ومازالوا قلقين .. يملكون الطائرات والقنابل النووية والهيدروجينية والنيوترونية والأيونية ومازالوا قلقين .. عروا نساءنا واقتحموا ديارنا ومازالوا قلقين .. لا أعرف كيف نطمئنهم على أنه لا خطر منا ! »

هزنتى كلماته فرحت أراقب الشاشة صامتاً كى لا يتهدج صوتى ..

قلت له :

- «يبدو أنهم ينوون تجريد حملة لتطهير هذا القطاع .. »

- «بالتأكيد .. كلنا يعرف هذا .. سيمرحون كثيراً هناك ..

ثم نظر إلى الأفق وقال وهو ينهض : «

- «إنه الصباح .. ربما يعود رجالنا أو لا يعودون .. لكنى على كل حال سأخفى السلك الآن حتى لا تلاحظه الطائرات .. من الخير أن نخفى نحن أيضاً فلربما كانت جولة سياحية مبكرة .. ثم توقف ونظر للأفق وهتف : «

- «لم تعد عيناى على مايرام .. هل ترى رجالاً هناك ؟ »

نظرت إلى حيث أشار وقلت :

- « نعم .. هناك رجال وأحدهم يحمل رجلاً على كتفه ..

إنهم رجالك .. أعنى رجالنا .. »

★ ★ ★

11 - ميكرع هلكنول ..

(أو (قبل أن يضيع كل شيء)

كانوا قد صاروا خمسة ..

تركوا منهم خمسة هناك جنبًا هامدة .. لم يتركوهم إلا بعدما
تيقنوا من أنهم جنبًا هامدة ، لأن تعذيب (ستارسكى) ينتزع
الأسرار من حوض الاستحمام ذاته ..

لماذا لم يعذبنا حين كنا في قبضته ؟ ثمة رأيان .. الرأي
الأول يقول ما معناه (لا تتعجل رزقك .. كل شيء كان في
الطريق) .. الرأي الثانى يقول : لأننا كنا غريبين غير معتادين
بالنسبة له . وكان يشعر أننا قد نفيد أكثر مما لو عذبنا
وتركنا حطامًا بشريًا ..

والسؤال هنا : ماذا بقى من ذلك الباكستانى لو كان هو
المطلوب ؟

أما الخبر السيئ فهو أن (سلمان) قد كان من الذين لم
يعودوا قط .. ولن يعودوا أبدًا .. كتب لى و(سلمى) أن

تلقي نسختنا هنا الشهادة .. نحن اللذان لم نتبادل معه أكثر
من ثلاث عبارات ..

وصلوا إلى الخيام وبسرعة تمت عملية إخلاء عاجلة ..
لم يبق إلا عدد محدود منا دخلوا إلى الخيام ، بينما ذاب
أكثرهم في الجبال .. إن الطائرات قد تصل في أية لحظة ..

كان الباكستاني في حالة مريضة .. تذكروا أننا لم نره في
النور قط .. بل لم نره في الظلام .. وقد بدا لي مثل
(روبنسون كروزو) بعد أعوام من محبسه .. أظفار طويلة
ولحية تغطي أعلى بطنه وأسمال بالية .. لكني رأيت عينيه
فأدركت أنهما تشعان ذكاء .. إنهم لم يقضوا عليه بعد ..

كان أول سؤال سألناه له :

- « هل تكلمت ؟ »

قال بعربية واهنة عرجاء :

- « لا .. »

وهكذا هدأت النفوس قليلاً وبدأت عملية إطعام الرجل وسقى
الرجل وغسل جسد الرجل وإبدال ثياب الرجل وإراحة الرجل ..
طبعاً قامت (سلمى) بالجزأين الأول والثاني ، بينما وقعت
الأجزاء الثلاثة الباقية على عاتقي ..

فى نهاية اليوم كان قد بدأ يبدو بشرياً لكنه ظل عاجزاً
عن الوقوف .. الآن فقط أجد أنه يبدو كالعلماء وليس
كالمجاذيب .. وهكذا جلسنا على الرمال فى حلقة صغيرة
جول نار متقدة .. ودارت الدلة تقدم لنا القهوة العربية ..

قال له (جمشيد) وهو يقدم له بعض اللبن :

- « منذ متى وأنت معهم ؟ »

- « خمس سنوات ! »

- « ولماذا احتفظوا بك كل هذا ؟ »

- « خمنوا أن ما لدى خطير .. لكنى لم أتكلم .. لهذا كان
الحل الوحيد أن يبقونى حبيساً .. »

قال (جمشيد) وهو يعقد يديه أمام وجهه :

- « دعنى أقل لك إننا لم نفقد خمسة من رجالنا لأننا
نحب ذلك .. نحن نعرف أنك الوحيد القادر على صنع أو
اختراع القنبلة الأيونية .. ومصيرنا كله معلق بها .. »

قال الباكستانى واللبن يسيل على ذقنه :

- « لقد صنعتها بالفعل ! »

هنا ساد صمت رهيب .. وسقطت بعض الأقناع من الأيدي ..
إن كانت القنبلة موجودة طيلة هذه الأعوام ولا أحد يعرف ..

- « وهل تستطيع عمل سواها ؟ »

- « مستحيل ! لم يعد الزمن ذات الزمن .. قمت بتركيب
آخر جزء منها وأنا فى قسم الفيزياء فى (كراتشى) قبل أن
تسقط البلاد .. إنها مدفونة فى الصحراء هنا فى موضع لم
أنسه قط .. لكنى فى السجن منذ خمس سنوات .. وكنت
أتمنى لو خرجت وفجرتها فى قلب (إمبيريا) .. فى هؤلاء
الكلاب الذين عذبونا وأهاتونا .. »

ولمعت عيناه ببريق متوحش :

- « أتمنى أن أرى لحمهم يحترق ويذوب .. أن أسمع
صرخات نسائهم .. أن .. »

هنا تدخلت أنا فى عصبية :

- « اسمع يا سيدى .. قبل أن تدخل فى تفاصيل .. هذه
القنبلة لن تلقى على بشر .. سيتم استعمالها كورقة ضغط ! »

نظر لى متحدياً بعينه الواهنتين وقال :

- « ومن أنت كى تحدد لى ؟ »

قال (جمشيد) وهو يهدئ الأمور :

- « هذا هو الرجل الذى لولاه لقضيت فى محبسك ..
وإننى لأرجو سماع خطته قبل أن نتحرك .. »

تكورت على نفسى ودنوت أكثر من النار ، وبحثت عن
(سلمى) فوجدتها تبسم لى مشجعة .. قلت بلهجة حاسمة :

- « أولاً .. يجب تفجير هذه القنبلة .. هنا فى الصحراء .. »

قال (جمشيد) فى غيظ :

- « إن أنت تمزح .. كل هذا الجهد كى نفجر أملنا الأخير فى
الصحراء ؟ »

قلت ضاغظاً على كلماتى :

- « ليس هدف القنبلة التدمير بل التخويف .. لا بد من
أن تصل الرسالة كاملة .. هل هناك محطات تلفزيونية هنا ؟
أعنى شبكات عالمية للأخبار ؟ »

قال (جمشيد) :

- « هناك شبكات عدة كلها فى المدينة الصحراوية .. إنها
تبث إلى انعام الغربى أخبار العظايا .. »

- « وما هى قدرتكم على توصيل شريط فيديو لهم ؟ »

- « أعتقد أن رجالى قادرون على ذلك .. هناك صناديق
بريد على كل حال .. »

- « إذن سيتم التفجير فى أقرب فرصة .. وسنقوم
بتصويره .. أنت قلت إن هناك كاميرا .. »

قال (جمشيد) يأساً :

- « لا داعى للتصوير .. ما إن يتم الانفجار حتى تلتقطه
الأنظار الصناعية .. سيعج المكان برجالهم خلال ساعات ..
لو أن شعباناً تشاءب فى هذه الصحراء لالتقطوا صورته .. »
- « لكنى أريد التصوير .. لن أسمح بالمجازفة أو أن يمر
الانفجار دون أن يلاحظه أحد .. »

انتهيت من كلامى فاسترخيت قليلاً ، هنا قال لى
(جمشيد) وهو يضحك ضحكة ذات معنى :

- « بالمناسبة عندى هدية لك .. »

- « وما هى ؟ »

كان الجهاز ناقل الجزيئات فى يده .. لم أر قط جهازاً
أجمل من هذا ..

مددت يدى لكن يد (سلمى) كانت الأسرع .. لقد انتزعت

الجهاز وراحت تَقْلِبُه في يدها في نهم .. ضغطت زرّاً صغيراً
للتأكد من أن البطاريات بحال جيدة .. لم يחדش لحسن
الحظ ، وكان من السهل أن تخرقَه رصاصة ..

قالت لى في خبث :

- « ما رأيك ؟ »

- « مثل رأيك .. لم يحدث قط أن نستردناه بهذه السهولة .. »

- « هل نرحل ؟ »

- « لا .. لا بد من اتمام مهمتنا .. لكنى أوصيك به ..

خيراً .. أنت لا تفعلين شيئاً إلا إضاعته كأنما يدفعون لك
راتباً من أجل هذا .. »

ونظرت له (جمشيد) طويلاً وابتسمت .. ومن قلبى همست :

- « شكراً .. »

★ ★ ★

تم التفجير فى الساعة صباحاً بعد يومين ..

كانت القنبلة تعمل جيداً ، وكان العالم قد دفن جوارها
أجهزة التحكم عن بعد اللازمة لهذا التفجير ..

ابتعدنا مسافة كافية فى تقدير العالم - حوالى كيلومترين - ثم
تم الانفجار .. ولم تفارق عين (سلمى) العدسة لحظة واحدة ..
حقاً كان أغرب انفجار رأيته فى حياتى .. له ذات الطابع
الذى رأيته للفتاب فى هذا العالم .. الانتشار الشبيه
بالسوائل ، ثم اللهب الأخضر .. لكنه انفجار ضخم مريع ..
سحابة زرقاء تتصاعد لتنتشر على ارتفاع كيلومتر من
سطح الأرض لكنها لا تشبه سحابة عش الغراب الشهيرة ..
كان الباكستاتى فى حالة مريعة من التوتر والقلق .. إنه
لم يجرب قنبلة قط وكان من السهل أن يفشل .. لهذا بكى
فرحاً حين رأى الانفجار ..

توقعت أن يقول (أنا قد صرت الموت .. مدمر العالم)
كما فعل (أوبنهايمر) بعد نجاح أول تجربة للقنبلة الذرية
فى (لوس الأموس) على كوكبى .. لكنه لم يكن يعرف هذه
الصلابة الهندية على كل حال ..

المهم أن الفيلم كان ناجحاً ..

بعد هذا عدنا إلى الأكواخ .

بدأنا بتعليق ملاءة كبيرة على الجدار لتكون خلفية
محايدة للصورة ..

ثم جاء دورى ..

كنت قد كتبت الخطبة عدة مرات ، وتدربت على
إلقائها .. فى النهاية صرت أحفظها عن ظهر قلب ..

جلست (سلمى) أمامى وبدأت تشغيل الكاميرا العتيقة ..

كنت أظهر يوجهى كاملاً الآن .. لو سارت الأمور كما
نريد فلن نكون هنا حين يفتشون عنا ..

أشارت لى باسمه كى أبدأ الكلام فابتلعت ريقى ..

كنت أنا الوحيد الذى يمكن أن ينقذ هذه الخطبة لأننى
أجيد الإنجليزية .. ولأننى و(سلمى) لن نكون هنا كما قلت
لك ، حين يشرع الجنود يفتشون تحت كل حجر ..

فقط عليهم ألا يعرفوا أننا كنا فى هذه القرية .. لهذا
وضعنا الملاءة ..

قلت بصوت هادئ :

- « نعم يا سادة .. ما رأيتموه هو انفجار تجريبي للقنبلة
الأيونية التى تمكنا من صنعها بمعونة بروفيسير باكستانى ،
الذى يدهشنى أنه كان فى قبضة د. (ستارسكى) ولم ينتزع
منه أية أسرار بل وتركه يفلت من يده .. والأهم هنا أننى
كنت أنا نفسى فى قبضة د. (ستارسكى) .. »

كان هذا نوعاً من (الإسفين) أدقه عمداً .. وأنا أعرف أن
حالة الهياج والذعر التى ستحدث كفيلة بسلخ الرجل حياً ..

واصلت الكلام :

- « الحقيقة المخيفة يا سادة هي أن هناك أربع قنابل من ذات النوعية موجودة الآن في مخابئ حصينة في أربع مدن مهمة من مدنكم .. أية مدينة هي ؟ هل (لندن) ؟ (لوس أنجليليس) ؟ (شيكاغو) ؟ (بوخارست) ؟ إن الحرس متروك للجميع .. لكنى أؤكد لكم أن هذه القنابل تم تركيبها بالداخل على أيدي عملائنا وبخامات محلية .. وهناك شاب مسئول عن كل قبلة .. هذا الشاب من ذويكم ويتقاضى أجراً على مهمته هذه .. وهو لا يعرف أى شيء عنا ولا عن القنابل الأخرى ، لكنه سينفذ مهمته بمجرد أن يتلقى إشارتنا .. والإشارة قد تكون أغنية أو إعلاناً في التلفزيون .. قد تكون رسالة وقد تكون موعداً محدداً .. »

- «والآن لنا يا سادة أن نتخيل ما سيحل بمدنكم المزدحمة لو وجدت فيها ذات المشهد الذى رأيتموه فى الصحراء .. هل تخلون مدنكم ؟ مستحيل .. لا يمكن أن تخلوا كل مدينة من مدنكم .. ولو أننى حددت المدن المستهدفة لكان الأمر سهلاً .. »

- « هل هذا ابتزاز ؟ نعم يا سادة .. إنه ابتزاز .. لم لا وقد تعلمنا منكم النفاق والخداع وازدواج المقاييس منذ

زمن .. أنتم أبدتم قومنا وفي الوقت ذاته تنفقون المليارات
من أجل الحفاظ علينا لمتاحفكم وتطلقون علينا ذلك اللفظ
المهين (العظايا) .. أى أننا انقرضنا لأننا لم نتطور .. »

- « لقد تعلمنا الدرس كاملاً ، ومن اللحظة سيكون توازن
الرعب حقيقة واقعة .. »

- « نحن لا نهدد الآمنين .. لانخيف أحداً .. فقط نحن
نحمى وجودنا وحضارتنا من صياديكم .. وما نطلبه منكم
بسيط جداً .. لا تأتوا إلينا .. نحن لن نذهب إليكم ، فلا تأتوا
إلينا .. إن هناك حملة يتم إعدادها لإبادة غرب القارة عما
قريب (لأنكم قلقون) .. وأنا أقول لكم إن هذه الحملة لن
تتم .. لأن لحظة بدنها ستكون هي إشارة التفجير للقبلة
الأولى .. ثم يتم تفجير قبلة كل يومين ..

- « لا تقتطوا ياسادة .. فلا تنسوا أنكم فعلتم شيئاً
مماثلاً في اليابان منذ أعوام ولم يحدث أحد عن الابتزاز ..
كان تفكيراً عملياً حقن دماء جنودكم كما قلتم وقتها ..

- « نحن نفعل نفس الشيء فلا تكونوا خاسرين سينين ..
يجب أن تتحملوا الهزيمة بروح رياضية ..

- « ستظل القتابل في مكانها ولن تعرفوا مكانها أبداً ..
ولسوف تسحبون قواتكم وفرق الدراسات إياها .. لسوف

تتعاونون مع الحكومات الجديدة التى ستنشأ فى هذه المناطق .. لسوف تمولون مشروعات التعمير وما يلزم لإنشاء دولة .. هذا نذر يسير من كل الثروات الطبيعية التى سرقتموها من هذه البلدان .. نحن لا نطلب إلا الحق فى الحياة وهو مطلب عادل .. كما أن كلامنا واضح : لا تأتوا إلينا فلن نذهب لكم ..

- « ستبحثون عني يا سادة لكنكم لن تجدوني .. لا تتبعوا أنفسكم فى استجواب الأبرياء وتعذيبهم .. فلا أحد يعرف أين أنا .. لا أحد يعرف مكان القنابل سوى .. ودعوني أؤكد لكم أننا نعتبر تعذيب الأبرياء أو البروفسير الباكستاني خرقاً واضحاً منكم ربما يستدعى تفجير واحدة من هذه القنابل .. »

- « شكراً يا سادة .. وأكرر : نحن لم نفعل إلا تطبيق ما تعلمناه منكم .. »

انتهى التسجيل فرحت ألهمت .. العرق يغمرنى .. ونسبة الأدرينالين فى دمي تجعلنى كأنا أنا خرقة بالية .. بينما رفعت (سلمى) إبهامها بمعنى أننى كنت رائعا ..

سألت (جمشيد) :

- « الآن هل يمكنكم توصيل الشريط إلى إحدى وكالات الأنباء ؟ »

قال فى رضا وهو يأخذه منى :

- « بالتأكيد .. سيلقيه رجالى فى صندوق بريد الآن .. »

قالت لى (سلمى) باسمه :

- « هذه فكرة لا بأس بها .. »

قلت لها :

- « كانوا سيفجرون القنبلة على سبيل الانتقام لا أكثر ..

وكنا سنفقدھا بثمن بخس .. بهذه الطريقة من (البلف)

يشعرون بأننا أقوى من حقيقتنا .. بالإضافة إلى أن يدنا لم

تتلوث بجريمة حرب مثلهم .. »

★ ★ ★

وفى نشرات المساء رأينا الصورة مراراً وسمعت كلماتى

تتردد مترجمة لعدد من اللغات ..

أما الأجمل فهو حالة الاضطراب العامة التى بدت واضحة ..

مظاهرات فى الشوارع .. مشاجرات برلمانية .. فرق بحث ..

وهدير الطائرات فوق رعوسنا عدة مرات خلال نصف ساعة

من إذاعة الرسالة مما دلنى على أن وقت الرحيل قد حان ..

لقد صرت فجأة صاحب أشهر وجه فى العالم الغربى ..

ثم أعلن المذيع أن وفداً من (إمبريا) قادم إلى الشرق الأوسط لدراسة إجراء مفاوضات مع بقايا العظايا .. قالها في النشرة الأولى ثم عدل الاسم إلى (المتمردون العرب) .. وفي النشرات التالية تحول الاسم إلى (الثوار العرب) ..

هكذا ! كاد يستفزني إلى حد أن أفجر قنبلة ثانية !

جاءت أخبار أخرى عن وقف الزحف نحو القطاع الشمالي الغربي من إفريقيا .. ستتوقف العمليات بعض الوقت حتى ينبلج الضباب .. ليس هذا خضوعاً للابتزاز - كما قالوا - لكنه حرص على سلامة مواطنيهم ..

- « إنهم خائفون لكنهم يتظاهرون باللامبالاة ! »

قالها (جمشيد) في رضا وهو يتابع الأخبار فهزنت رأسى في فخر ..

قلت وأنا أنهض :

- « يجب أن يخافوا .. هم مهددون بفقد كل شيء .. بينما نحن - عملياً - لن نفقد أى شيء إلا حياة لا قيمة لها .. سيظل شبح القنابل الباقية جاثماً فوق رؤوسهم لأعوام عديدة .. يجب أن يعرفوا أن الخوف لعبة يلعبها اثنان .. وأنه لا يوجد بشر بلا ثمن لأرواحهم .. أعتقد الآن أنكم فى الطريق الصحيح .. لا أعرف طوله لكنه مرهق شاق .. »

قال فى حكمة وهو يطفئ جهاز التلفزيون :

- « ليكن خمسين عاماً أو مائة .. هذا لا قيمة له فى حياة الشعوب .. أنا سأكون فى القبر خلال عام أو عامين ، لكنى سأموت راضياً لو عرفت أن وجودنا لن يزول .. وأننا لم نعد عظاماً .. »

- « العظام انقرضت لأنها بلا عقل ولا إرادة .. لا يمكن أن نكون عظاماً أبداً إلا لو فقدنا عقولنا وإرادتنا .. »

ثم عاتقته طويلاً .. كان يعرف أننا الآن راحلون ..

- « شكراً لك يا (سالم) .. فقد ساعدتنا كثيراً .. »

- « شكراً لك يا (جمشيد) فقد علمتنا كثيراً .. »

وأمسكت بيد (سلمى) على حين ضغطت هى على أزرار الجهاز بالترتيب المعروف ..

وتلاشت الصحراء من حولنا ..

★ ★ ★

الخاتمة ..

الآن أعود لكم أنا (رفعت إسماعيل) العجوز بعد ما فرغت من قراءة هذا الخطاب ..

ما زالت عندى قصة أخيرة للأخ (سالم) هى (أرض الظلام) .. ولا أعرف لماذا لم يزرنى منذ اليوم الذى قدم لى فيه قصته (أرض أخرى) .. هل مازال على كوكبنا أم أننا كنا مجرد مرحلة من جولاته عبر الأكوان ؟

على كل حال آمل أن تكونوا قد أحببتم قصته هذه .. إنها كنيية لكنى لا أعد بأن تكون (أرض الظلام) أقل قتامة .. قصة يكون هذا عنوانها - والمفترض أنه أكثر أجزائها بهجة وجاذبية - فكيف تكون أحداثها إذن ؟

فى الكتيب القادم أعود لكم بقصتى .. أو شهادتى عن تلك الطفلة قريية (ماجى) التى جنت أو مستها (رونيل) السوداء ..

لقد راهنت على أننى سأجد الحل بسهولة لكنى كنت مخطئاً لأن ...

ولكن هذه قصة أخرى ..

و. رفعت إسماعيل
القاهرة

(روايات مصرية للجيب)

تدعو قراءها الأعزاء لزيارة موقعي الإنترنت
الشقيقين :

WWW. rewayatnet.net

WWW. rewayat. Com

إنه عالم الروايات الساحر حيث تلتقى أصدقائك
من عشاق الروايات ، وتعرف كل جديد من إصداراتنا ..
تتبادل الآراء .. بل وتبتاع نسخ رواياتك المفضلة
مباشرة .

روايات مصرية الجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 31 - أسطورتها . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 36 - أسطورة القفصيلة السادسة . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 39 - أسطورة التوءميين . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 41 - أسطورة فرانكنشتاين . | 12 - أسطورة البيت . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 13 - أسطورة الذهب الأزرق . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 15 - أسطورة النبات . |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 46 - أسطورة طفل آخر . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 47 - المنزل رقم (٩) . | 18 - أسطورة الغرياء . |
| 48 - المومياء . | 19 - أسطورة يو . |
| 49 - أسطورة العشيرة . | 20 - حكايات التاروت . |
| 50 - في جانب النجوم . | 21 - أسطورة صدو الشمس . |
| 51 - أسطورة الرقم المشنوم . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 52 - أسطورة مملعة . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 53 - أسطورة النبوءة . | 24 - أسطورة إيجور . |
| 54 - أسطورة العراف . | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |
| 55 - أسطورة (###099) . | 26 - أسطورة المواجهة . |
| 56 - أسطورة ملك الذباب . | 27 - أسطورتنا . |
| 57 - أسطورة المقبرة . | 28 - أسطورة آخر الليل . |
| 58 - أسطورة أرض العظايا . | 29 - أسطورة الجاثوم . |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

99 - مذاق الدم .	50 - مهمة خاصة .	1 - الاختفاء الغامض .
100 - الضريبة القاسية .	51 - سم الكوبرا .	2 - سباق الموت .
101 - انقلاب .	52 - جبال الموت .	3 - قناع الخطر .
102 - نهر الدم .	53 - ذئاب ودعاء .	4 - صائد الجواسيس .
103 - الحيتريف .	54 - رحلة الهلاك .	5 - الجليد الدامي .
104 - الإعصار الأحمر .	55 - أفنى برشلونة .	6 - قتال الذئاب .
105 - عقارب الساعة .	56 - العهد الأبيض .	7 - برقوق الناس .
106 - الأفنى .	57 - عملية الأقدام .	8 - غريم الشيطان .
107 - اتحاد القتل .	58 - إعدام يطل .	9 - أبواب الثعمان .
108 - الفخ .	59 - انتقام شبح .	10 - المال اللعون .
109 - قبضة الشر .	60 - دون كارولينا .	11 - المؤامرة البغيضة .
110 - اغتيال .	61 - ملائكة الرحيم .	12 - حلفاء الشر .
111 - معبد الجريمة .	62 - ملك العصابات .	13 - أرض الأوهال .
112 - الفريق الأسود .	63 - الجاسوس .	14 - عملية مولت كارلو .
113 - رياح الخطر .	64 - تحت الصفر .	15 - إمبراطورية السم .
114 - ممر الرحيم .	65 - الجليد المشتعل .	16 - الهدنة الأخيرة .
115 - بلا رحمة .	66 - ألف وجه .	17 - انتقام العقرب .
116 - مهرجان الموت .	67 - الرحيم المذبح .	18 - قاهر العصابة ج ١ .
117 - عمالقة الجبال .	68 - قلعة الصقور .	19 - أبواب الرحيم ج ٢ .
118 - الأربعة الكبار .	69 - أجنحة الانتقام .	20 - مخلب النوح .
119 - فرق القمة .	70 - أباطرة الشر .	21 - مضيق التيران .
120 - الستورا .	71 - ضد القانون .	22 - أصابع الدمار .
121 - وجه الأفنى .	72 - شريعة القاب .	23 - فارس الزلزال .
122 - الأصابع الذهبية .	73 - لا تمقل الرهيب .	24 - الضباب القاتل .
123 - المستحيل .	74 - الدائرة الجهنمية .	25 - الهندس الفضى .
124 - اللمة الأخيرة .	75 - أسرار الرحيم .	26 - آخر الجبابرة .
125 - عملية التيل .	76 - النهر الأسود .	27 - الجوهرة السوداء .
126 - ساعة الصفر .	77 - عمالقة مارسيليا .	28 - قلب العاصفة .
127 - نقطة الضعف .	78 - صحراء الدم ج ١ .	29 - الصراع الشيطاني .
128 - المسحوة .	79 - صفقة الموت ج ٢ .	30 - الرمال الحارقة .
129 - القراصنة .	80 - وكو الإرهاب ج ٢ .	31 - الخطوة الأولى .
130 - محيط الدم .	81 - الرجل الآخر ج ١ .	32 - خيط الذهب .
131 - الحلود .	82 - الأخطبوط ج ٢ .	33 - القوة (١) .
132 - فريق للمستحيل .	83 - معركة القمة ج ٢ .	34 - مارد القشب .
133 - نمور الثلوج .	84 - جزيرة الرحيم .	35 - قراصنة الجو .
134 - الأبطال .	85 - لسة الشر .	36 - ذئب الأحرار .
135 - الأستاذ .	86 - الثعلب .	37 - مخلب الشيطان .
136 - المخامرة الكبرى .	87 - خدم المواجهة .	38 - لعبة المحترفين .
137 - مدينة الذئاب .	88 - سفير الخطر .	39 - أعماق الخطر .
138 - الضحايا .	89 - قبضة السفاح .	40 - مهنتي القتل .
139 - الوحش الأدمى .	90 - الهدف .	41 - اللاتحاريون .
140 - التواجهة الأخيرة .	91 - الوجه الغشى .	42 - الهدف القاتل .
141 - رجال ودعاء .	92 - الخطر .	43 - المخاطر .
142 - رجل وجيش .	93 - أرض العدو .	44 - العين الثالثة .
143 - الأوراق للكشفة .	94 - كتابة الدمار .	45 - اقتضاب الجليدية .
144 - المحترقون .	95 - الصراع الوحشي .	46 - كليب الثلج .
145 - الورقة الأخيرة .	96 - للمركة الفاصلة .	47 - الرصاصة الذهبية .
	97 - الصقر الأعشى .	48 - شيطان النافيا .
	98 - القناس .	49 - الضريبة القاسية .

- 1 - أشعة الموت .
- 2 - اختفاء صابوخ .
- 3 - مدينة الأعماق .
- 4 - غزاة الفضاء .
- 5 - القبلة الغامضة .
- 6 - زلزال زمن المستقبل .
- 7 - جنون طائرة .
- 8 - الانتحار القاتل .
- 9 - صراع الجواس .
- 10 - الفارس الجهول .
- 11 - منطقة الرعب .
- 12 - طريق الأشباح .
- 13 - الزمن المفقود .
- 14 - نداء النجوم .
- 15 - مثلث القموض .
- 16 - الوياة الجهنمي .
- 17 - نبض البلود .
- 18 - ظلال القمر .
- 19 - عيون الهلاك .
- 20 - العقول المدنية .
- 21 - أطراف الماضي .
- 22 - ليلة الرعب .
- 23 - بصمات السحرة .
- 24 - الضوء الأسود .
- 25 - مسحوة الشر .
- 26 - لعنة الفضاء .
- 27 - الفخ الزجاجي .
- 28 - النهر المقدس .
- 29 - الإيقاع المفقود .
- 30 - النار الباردة .
- 31 - رنين الصمت .
- 32 - الأفاق الأخضر .
- 33 - حارس الأرواح .
- 34 - وحش المحيط .
- 35 - مرآة القد .
- 36 - الموت الأزرق ج ١ .
- 37 - السماء المظلمة ج ١ .
- 38 - من وراء النجوم ج ٢ .
- 39 - الملوح الساخنة .
- 40 - علامات الخوف .
- 41 - مملكة النار .
- 42 - الأرض الثانية .
- 43 - شتب في التاريخ .
- 44 - الخارقون .
- 45 - السحاب الأحمر .
- 46 - الكوكب الملعون .
- 47 - المقاتل الأخير .
- 48 - سجن القمر .
- 49 - ضرو الأرض .
- 50 - الأسطورة .
- 51 - الخلية القاتلة ج ١ .
- 52 - العدو الخفي ج ٢ .
- 53 - أمطار الموت .
- 54 - عبر العصور ج ١ .
- 55 - أسرى الزمن ج ٢ .
- 56 - شيطان الأجيال ج ٣ .
- 57 - منطقة الضياع .
- 58 - معركة الكواكب ج ١ .
- 59 - جحيم أرغوان ج ٢ .
- 60 - أرض العمالة .
- 61 - الكايوس .
- 62 - سادة الأعماق ج ١ .
- 63 - المحيط للتهب ج ٢ .
- 64 - السيف البلوري ج ١ .
- 65 - أبواب الموت ج ٢ .
- 66 - الشمس الزرقاء .
- 67 - شيطان الفضاء .
- 68 - عقول الشر .
- 69 - العالم الآخر .
- 70 - الستار الأسود .
- 71 - أمير الظلام .
- 72 - ابن الشيطان ج ١ .
- 73 - مبعوث الجحيم ج ٢ .
- 74 - الصراع الجهنمي ج ٣ .
- 75 - الجولة الأخيرة ج ٤ .
- 76 - الاحتلال ج ١ .
- 77 - المقاومة ج ٢ .
- 78 - الصراع ج ٣ .
- 79 - التحدي ج ٤ .
- 80 - النصر ج ٥ .
- 81 - رمز القوة .
- 82 - حصن الأشرا .
- 83 - أرض العدم .
- 84 - كنز الفضاء .
- 85 - الأمل الفيروزي .
- 86 - الأميراطور .
- 87 - نصف آلي .
- 88 - الانتحار الحي .
- 89 - البركان .
- 90 - رعب في الأعماق .
- 91 - ضد الزمن .
- 92 - الرحلة الرهيبة .
- 93 - نقطة الصفر .
- 94 - الساحر .
- 95 - القوة السوداء .
- 96 - بذور الشر .
- 97 - لبيب الكواكب .
- 98 - نيران الكون .
- 99 - الآلة غجار .
- 100 - الزمن - صفر .
- 101 - الإبرياء .
- 102 - اليوم الرهيب .
- 103 - الأرض المفقودة .
- 104 - أنياب ومخالب .
- 105 - وجوه من تلح .
- 106 - بلا أثر .
- 107 - لعنة الدم .
- 108 - مسيدة الفضاء .
- 109 - الدوامة .
- 110 - النجوة السوداء .
- 111 - كوكب الطفلة .
- 112 - بسملة الموت .
- 113 - حرب الفيروسات .
- 114 - الرعب .
- 115 - العدو الخارق .
- 116 - العاصفة النووية .
- 117 - فارس الزمن .
- 118 - ألف عصر .
- 119 - زمن الدم .
- 120 - الفارس الثاني .
- 121 - الجهول .
- 122 - الظلال الرهيبة .
- 123 - دائرة الظل .
- 124 - الغزاة .
- 125 - كرة النار .
- 126 - لبيب الرعب .
- 127 - طريق النجوم .
- 128 - الزمن الآخر .
- 129 - وراء العقل .
- 130 - القوة .
- 131 - العاصفة .
- 132 - الرمال الحية .
- 133 - نقطة التماس .
- 134 - سادة الكون .
- 135 - قودو .
- 136 - الأحراش الفسورية .
- 137 - الشر .
- 138 - الأعماق .
- 139 - حرب الأشباح .
- 140 - قرصنة الزمن .
- 141 - الثعابين .
- 142 - أنياب .
- 143 - بلا جسد .
- 144 - العقل .
- 145 - الخصم الرهيب .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| 18 - توم ومن معه ! | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 19 - خمسة منهم ! | 2 - حكايات من الاشيا . |
| 20 - من فعلها ؟! | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 21 - لا تدخلوا شيروود . | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 22 - قلعة السفاحين . | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 23 - أرض .. قمر .. أرض . | 6 - خيول ورماح . |
| 24 - فليدخل التنين . | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 25 - من أجل طروادة . | 8 - مملكة الموتى . |
| 26 - عودة المحارب . | 9 - الخناقون . |
| 27 - آخر أيام الرايخ . | 10 - الاسم شكسبير . |
| 28 - ١٩١٩ . | 11 - نداء الأدغال . |
| 29 - الوطواط . | 12 - بين عالمين . |
| 30 - عبقري . | 13 - رجل من كريبتون . |
| 31 - اسمه أدهم . | 14 - من بعد سوبرمان . |
| 32 - فى مملكة الأخوين . | 15 - إعدام فى البرج . |
| 33 - أيام مع هانيبال . | 16 - شبح وشيطان . |
| 34 - عرض لا تستطيع رفضه . | 17 - اقتلوا بطوط . |

روايات مصرية للحب

حب الجواسيس



صدر من هذه السلسلة:

- ١- صراع الجواسيس .
- ٢- الخدعة الكبرى .
- ٣- قلب العدو .

رقم الإيداع : ٩٤٦ / ٩٣ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : ٩٣٨ - ٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧